علاج الوسوسة بالاستعاذة بالله تعالى

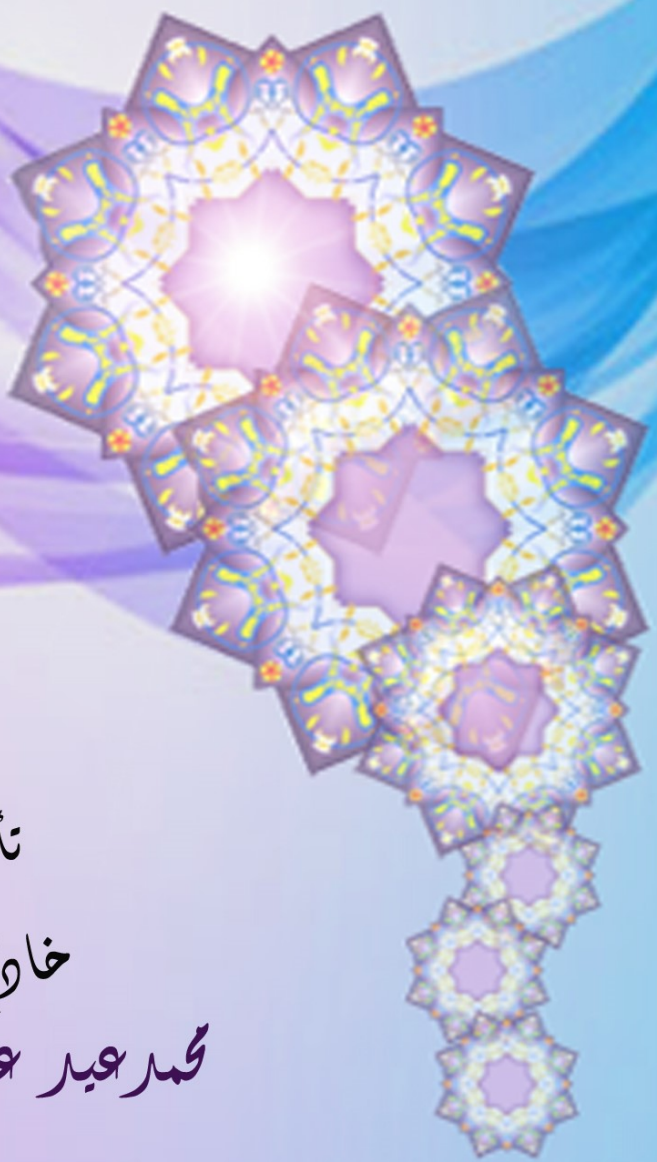

تأليف وكلمات
خادم العلم الشريف
محمد عيد عبدالله يعقوب الحسيني

علاج الوسوسة
الاستغاثة بالله
تعالى

تأليف وكلمات
خادم العلم الشريف
الشيخ محمد عيد عبدالله يعقوب الحسيني

الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم ..

الحمد لله رب العالمين ..

صلاتُك اللّهم وسلامك على نبينا محمد ﷺ ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

وبعد ..

فقد طَلَبَ مني عددٌ مِنَ الأخوان أنْ أكتب لهم رسالةً تتعلّق بالشيطان والوَسواس والموسوَسين ، وأنْ أُبَيِّن لهم بعضَ ما تيسّر مِنْ حبائل الشيطان وحِيَله ، وكيف يدخل على الإنسان . وكان هذا الطلب قد تكرّر وأُعيد مراراً عليّ ، وكنتُ قد طلبتُ مِنَ الله ﷻ أنْ يشرح صدري لذلك مراراً ، وكنتُ أتوقّف حيث كانت أشغالي كثيرة ،

إلى أنْ أصرّ بعضُ الأخوان على ذلك ، فأحببتُ أنْ أكتب بهذه العُجالة رسالةً موجزةً تُـبَـيِّن للأخوان وللمسلمين حقيقة الوسوسة ، وكيف يستطيع الشيطان بسببها أنْ يوصِلَ المسلم إلى ما لا تُحمد عقباه ، بل وأنْ يُبْعِـدَه عن السُّنّـة والاتّبـاع .

عِلْمـاً أنَّ الله تبارك وتعالى لم يَجعل لإبليس وأعوانه سلطاناً على بعضِ عباده ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الإسراء: ٦٥ ، الحجر: ٤٢] .

ومِنَ المعلوم أنه لا بد للمرء المسلم أنْ يكون مطّلعاً على الأحكام الشرعية التي تُنير له الطريق ، وتُـبَـيّن له الحقيقة ، وتُوصِله إلى شاطئ الأمان .

وليُعلم أنَّ الوَسواس مرضٌ يَبتلي الله به مَنْ يشاء مِنْ عباده ، وقد يُصاب به الصالحون . وهو على أنواع : منه ما هو عملي ، ومنه ما هو اعتقادي .

والأصل في سببه أنه مِنْ عمل الشيطان ، والشيطان يبدأ في وسواس العبد في الشيءِ اليسير في عبادته وعمله وسلوكه ، فإنِ استعاذ منه وامتنع عنه لم يتغلّب عليه ، وإنِ استجاب له العبدُ وكان ضعيفاً شَدَّدَ عليه الشيطان وأكْثَـرَ مِن وسواسه ، وتمكّن منه حتى يشكّكه في دينه وربه ونبيّـه ، ويهجم على قلبه ويُضْعِف عزيمته ، ويُبطل عمله ، ويكون العبد له أسيراً .

وفي الغالب ينفذ الشيطان على العبد في حال غفلته وضَعْفه ، وفِتْنتـه بالدنيا ... وغير ذلك مِن أحوال ضعف البصيرة وقِلّـة الإخلاص .

والمراد بمرض الوَسواس هو الذي يكون مسيطراً على تفكير العبد وسلوكه في سائر أحواله لا ينفكّ عنه ، أمّـا الوسوسة الطارئة وخاطرة السوء ، والهمّ بالمعصية الذي يَعرض للعبد أحياناً ، فهذا لا يُعدّ مرضاً ، ولا يضرّ العبدَ

ذلك ، ولا يُحاسَب عليه إذا طَرَدَه وتخلّص منه ، قال ﷺ : " إنَّ الله تجاوز لأمتي عمّـا وسوست به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلّم " [١] .

كمـا أنَّ الناس يتفاوتون أيضاً في مرض الوَسواس ، فمنهم مَنْ وسواسه خفيف ، ومنهم متوسط ، ومنهم شديد . ومنهم مَنْ وسواسه في العبادات ، ومنهم مَنْ في الاعتقادات والعياذ بالله .

وقد تناول الكثير مِنَ العلمـاء هذا البحث وتشبّعوا به ، وقد أردتُ إيجـاز ذلك واختصاره برسالةٍ غير مطوّلة ولا مُـمِلّـة ؛ لتكون دواء لكلِّ مَنْ يحتـاج إلى الدواء .

أسأل الله تعالى أنْ يكرمني بمـا يُثلج صدور المؤمنين في هذا المجال ، وأنْ يَدفع وساوس الموسوَسين عند الاطّلاع على ذلك ، وأنْ تكون رسالتي هذه خالصةً لوجهه تبارك

---

١) انظر الحديث ص ٢٩ .

وتعالى ، ومقبولـة عند الآخرين .

واللهَ أسأل وبالنبي ﷺ أتوسّل، أنْ يرزقني القبول والتوفيق والسّداد .

وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي المعلّم الأكبر ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الصادقين ، والتابعين والمسلمين إلى يوم الدين .

والحمد لله رب العالمين .

خادم العلم الشريف

محمد عيد يعقوب الحسيني

تعريف الوسوسة لغة وعُرْفاً :

اعلم أنَّ الإنسان إذا جَلَسَ في الخلوة وتواترت الخواطر في قلبه ، فربما صار بحيث كأنه يَسمع في داخل قلبه ودماغه أصواتاً خفية وحروفاً خفية ، فكأنَّ مُتَكَلِّماً يتكلّم معه ومخاطباً يخاطبه ، فهذا أَمْر وجداني يَجِده كلُّ أحدٍ مِن نفسه .

والوسوسة في اللغة: هي الحركة والصوت الخفي الذي لا يُحسّ فيُحترز منه .

قال الزبيدي في (تاج العروس) : كلمة وسواس في اللغة العربية هي صوت الحلي مجازاً ، وصوت الصائد وكلبه إذا هَمَسا ، فهو الصوت الخفي .

وقال القرطبي: الوسوسة حديث النفس بمنزلة الكلام الخفي ، ويقال لِهَمْسِ الصائد والكلاب وأصوات الحلي وسواس .

وتعريفه في الشرع : هو ما يجول في الخاطر وفي القلب ، وهو كلام يكرّره الموسوس عادة .

وفي الحديث الشريف يقول ﷺ : " الحمد لله الذي رَدَّ كَـيْده إلى الوسوسة " [١] ، وهي حديث النفس والأفكار، وحديث الشيطان أيضاً بمـا لا نَفْع فيه ولا خير . قاله الزبيدي في التـاج .

وقال ابن قدامة المقدسي في كتابه (ذم الوسواس) : الوسوسة هي تردّد الشيء في النفس مِنْ غير اطمئنانٍ واستقرار .

وقال الإمام الرازي في تفسيره الكبير : اعلم أنَّ أَمْـرَ الشيطان ووَسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي نجدها مِنْ أنفسنا . وقد اختلفت الناس في هذه الخواطر مِنْ وجوهٍ ، أحدها : اختلفوا في ماهيّتها ؟ فقال بعضهم : إنها

---

١) انظر الحديث ص ٥٦ .

حروف وأصوات خفيّـة ، وقال الفلاسفة: إنها تصوّراتُ الحروفِ والأصوات وتخيّـلاتها على مِثال الصور المنطبعة في المرايا ، فإنَّ تلك الصور تُشْبِه تلك الأشياء مِنْ بعض الوجوه ، وإنْ لم تكن مشابهةً لها في كل الوجوه .

القرآن والسنة أصل في جميع المواضيع التي تتعلّق بالوسواس وحُكْمه :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة] .

يُروى عن ابن عباس أنه قال: " لَـمّـا نزلت هذه الآية جاء أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ وناس إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، كُلِّفْنا مِنَ العمل ما لا نطيق ، إنَّ أحدنا لَيُحَدِّثُ نفسه بمـا لا يحب أنْ يثبت في قلبه وأن له الدنيا ؟ فقال النبي ﷺ : فلعلكم تقولون كمـا قال بنو إسرائيل: سَمِعْنا وعَصَيْنا ؟ قولوا : سَمِعْنا وأَطَعْنا . فقالوا : سَمِعْنا وأَطَعْنا ، واشتدّ ذلك عليهم ، فمكثوا في ذلك حَوْلاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ فنَسَخَتْ هذه الآية ، فقال : " إنَّ الله تجاوز عن أمتي ما حَدَّثوا به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلّموا به" [١] .

---

١) كذا ذكره الرازي ، وهو عند مسلم وأحمد عن أبي هريرة .

قال القرطبي : نَصَّ الله تعالى على أنه لا يكلّف العبادَ مِنْ وقت نزول الآية عبادةً مِنْ أعمـال القلب أو الجوارح إلّا وهي في وسع المكلَّف ، وفي مقتضى إدراكه وبنيتـه ، وبهذا انكشفت الكربة عن المسلمين في تـأوّلهم أمـر الخواطر .

وقال ابن عطية : قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ ، معناه مـمّـا هو في وسعكم وتحت كَسْبكم ، وذلك استصحابَ المـعتـقد والفكر ، فلمّـا كان اللفظ مـمّـا يمكن أنْ تدخل فيه الخواطر ، أشفق الصحابة والنبيﷺ ، فبـيّن الله لهم ما أراد بالآية الأخرى وخصّصها، ونصّ على حُكْمه أنه لا يكلِّف نفساً إلّا وسعها . والخواطر ليست هي ولا دَفْعها في الوسع ، بل هي أمر غالب وليست مِـمّـا يكتسب ، فكان في هذا البيـان فَرَجَهم وكَشْفَ كَرْبهم .

وقال الإمام الرازي : واعلم أنَّ محل البحث في هذه الآية : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾ يتناول حديث النفس والخواطر الفاسدة التي تَـرِدُ على القلب ولا يتمكّن مِن دَفْعِها ، فالمؤاخذة بها تجري مجرى تكليفِ ما لا يُطـاق .

ثم ذَكَـرَ عن العلمـاء أنَّ الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين: فمنها ما يُوَطّن الإنسان نفسه عليه ، ويعزم على إدخاله في الوجود . ومنها ما لا يكون كذلك ، بل تكون أموراً خاطرة بالبال مع أنّ الإنسان يكرهها ، ولكنه لا يمكنه دَفْعها عن النفس . فالقسم الأول يكون مؤاخذاً به ، والثاني : لا يكون مؤاخذاً به .

وقَالَ تعَـالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ

﴿ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال القرطبي : أي بالصد عنه وتزيين الباطل حتى يهلكوا كما هلك ، أو يضلوا كما ضلّ ، أو يخيبوا كما خيب . والصراط المستقيم هو الطريق الموصل إلى الجنة .

ثم قال : ومِنْ أحسن ما قيل في تأويلِ : ﴿ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾ : أي لَأصدنّهم عن الحق ، وأُرَغِّبنّهم في الدنيا ، وأُشَكِّكهم في الآخرة ، وهذا غاية في الضلالة .

وقال الرازي: المراد منه أنه يواظب على الإفساد مواظبة لا يفتر عنها ؛ ولهذا المعنى ذكر القعود ؛ لأنَّ مَنْ أراد أنْ يبالغ في تكميلِ أَمْرٍ مِنَ الأمور قَعَدَ حتى يصير فارغ البال ، فيمكنه إتمام المقصود . ومواظبته على الإفساد هي مواظبته على الوسوسة حتى لا يفتر عنها .

وقال : في هذه الآية أنه تعالى حكى عن الشيطان ذِكْر

هذه الوجوه الأربعة ، والغرض منه أنه يبالغ في إلقاء الوسوسة ، ولا يقصر في وجهٍ مِنَ الوجوه الممكنة البتّة . وتقدير الآية : ثم لآتينّهم مِنْ جميع الجهات الممكنة بجميع الاعتبارات الممكنة .

يُروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إنَّ الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام فقال له : تَدَعُ دين آبائك ؟ فعصاه فأسلم . ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له : تَدَعُ ديارك وتتغرّب ؟ فعصاه وهاجر . ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له : تُقاتل فتُقتل ، ويُقسم مالك ، وتُنكح امرأتك ؟ فعصاه فقاتل " [١] .

---

١) ذكره بهذا اللفظ الرازي في تفسيره الكبير ، ونحوه عند النسائي في سننه من حديث سبرة بن الفاكه كما سيأتي معنا ، وعند الإمام أحمد في مسنده ، والبخاري في تاريخه الكبير ، وابن حبان في صحيحه ، وابن أبي شيبة في مصنفه ، والبيهقي في الشعب ، وأبي نعيم في المعرفة ، والطبراني في الكبير .

قال الرازي : وهذا الخبر يدل على أنَّ الشيطان لا يترك جهة مِن جهات الوسوسة إلّا ويلقيها في القلب .

وقال قتادة : أتاهم مِنْ بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ، ومِن خلفهم مِنْ أمر الدنيا فزيّنها لهم ودعاهم إليها ، وعن أيمانهم مِنْ قبل حسناتهم بَطَّأَهم عنها، وعن شمائلهم زيّن لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأَمَرهم بها . أتاك يا ابن آدم مِنْ كل وجه غير أنه لم يأتك مِنْ فوقك، لم يستطع أنْ يحول بينك وبين رحمة الله.

وقال مجاهد : مِنْ بين أيديهم وعن أيمانهم حيث يُبصرون، ومِن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون.

وقال الطبري: معناه : ثم لآتينّهم مِن جميع وجوه الحق والباطل، فأَصُدّهم عن الحق وأُحَسِّن لهم الباطل. وذلك أنَّ ذلك عقيب قوله : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ، فأَخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أَمَرَهم الله

أنْ يسلكوه ، وهو ما وصفنا مِنْ دين الله الحق ، فيأتيهم في ذلك مِن كل وجوهه ، مِنَ الوجه الذي أَمرهم الله به فيصدّهم عنه ، وذلك مِن بين أيديهم وعن أيمانهم . ومِنَ الوجه الذي نهاهم الله عنه فيزيّنه لهم ويدعوهم إليه ، وذلك مِنْ خلفهم وعن شمائلهم . وقيل : لم يقل : مِنْ فوقهم ؛ لأنَّ رحمة الله تنزل على عباده مِن فوقهم .

ويروى أنَّ الشيطان لَمّا قال هذا الكلام رَقَّتْ قلوب الملائكة على البشر فقالوا : يا إلهنا، كيف يتخلّص الإنسان مِنَ الشيطان مع كونه مستولياً عليه مِنْ هذه الجهات الأربع؟ فأوحى الله تعالى إليهم أنه بقي للإنسان جهتان : الفوق والتحت . فإذا رَفَعَ يديه إلى فوق في الدعاء على سبيل الخضوع ، أو وَضَعَ جبهته على الأرض على سبيل الخشوع ، غفرتُ له ذنب سبعين سنة [١] ، والله أعلم .

---

[١] ذكره الرازي في تفسيره الكبير .

وقال بعض العلمـاء : السبل التي يسلكها الإنسان أربعة لا غير : فإنه تارة يأخذ على جهة يمينه ، وتارة على شمـاله ، وتارة أمامه ، وتارة يرجع خلفه . فأيَّ سبيلٍ سَلَكها مِنْ هذه وَجَدَ الشيطانَ عليها رَصْداً له ، فإنْ سَلَكها في طاعةٍ وَجَدَه عليها يُثَـبِّطُـه عنها ويقطعه ، أو يعوقه ويبطّئـه . وإنْ سَلَكَها لمعصيـةٍ وَجَدَه عليها حاملاً له وخادماً ، ومُعينـاً ومُمَـنِّيـاً ، ولو اتّـفق له الهبوط إلى أسفل لَأتـاه مِنْ هنـاك .

وقَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف] .

قال الإمام القرطبي: النَّـغْز والنَّـزْغ والهَـمْز والوسوسة سواء ، قال الله تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ

ﭐلشَّيَٰطِينِ ﴾ [المؤمنون:٩٧] ، وقال : ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤] . وأصل النَّـزْغ الفساد ، وقيل : الإغواء والإغراء ، والمعنى متقارب . قلتُ : ونظير هذه الآية ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﵁ : " يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول له : مَنْ خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول له : مَن خلق ربك ؟ فإذا بلغه ذلك فليستعذ بالله ولينته "[١] .

فأَمَرَ تعالى أنْ تُدفع الوسوسة بالالتجاء إليه والاستعاذة به ، ولله المثل الأعلى .

وقد حُكِيَ عن بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تَصنع بالشيطان إذا سوّل لك الخطايا ؟ قال : أُجاهده ، قال : فإنْ عاد ؟ قال : أُجاهده ، قال : فإنْ عاد ؟ قال : أُجاهده ، قال: هذا يطول ، أرأيتَ لو مررتَ بغنم فنَبَحَك

---

[١]) انظر الحديث ص ٤٧ .

كلبها ومَنَـعَك مِنَ العبور ما تَصنع ؟ قال : أُكابده وأَرُدّه جَهْدي ، قال : هذا يطول عليك ، ولكن اسْتَغِثْ بصاحب الغنم يَكْفِـه عنك .

وقال الإمام الرازي : اعلم أنَّ نزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونَخْسـه في القلب بمـا يُسَـوِّل للإنسان مِنَ المعاصي . وقيل: النـزغ الإزعاج ، وأكثر ما يكون عند الغضب ، وأصله الإزعاج بالحركة إلى الشر .

والاستعاذة بالله عند هذه الحالة أنْ يتذكّر المرء عظيم نِعَمِ الله عليه وشديد عقابه ، فيدعوه كل واحد مِن هذين الأمرين إلى الإعراض عن مقتضى الطبع ، والإقبال على أمـر الشرع .

ثم قال : قولـه : ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ يدل على أنَّ الاستعاذة باللسان لا تُفيد إلّا إذا حَضَرَ في القلب العِلْمُ بمعنى الاستعاذة ، فكأنه تعالى قال : اذْكُرْ لفظ الاستعاذة

بلسانك فإني سميع ، واسْتَحْضِرْ معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك فإني عليم بما في ضميرك . وفي الحقيقة القول اللساني بدون المعارف القلبية عديم الفائدة والأثر .

وروى الحسن عن بعض المهاجرين قال : مَنْ سَرّه أنْ يعلم مكان الشيطان منه فليتأمّل موضعه مِنَ المكان الذي منه يجد الرغبة في فِعْل المنكر .

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق] .

قال القرطبي : أي ما يختلج في سِرِّه وقلبه وضميره ، وفي هذا زَجْرٌ عن المعاصي التي يستخفي بها . قال : والوسوسة حديث النفس بمنزلة الكلام الخفي .

وقيل : أي ونحن أعلم بما تُوَسْوِسُ به نفسه مِن حبل وريده الذي هو مِن نفسه ؛ لأنه عرق يخالط القلب ،

فعِلْمُ الرب أقرب إليه مِنْ علم القلب . رُوِيَ معناه عن مقاتل ، قال : الوريد عرق يخالط القلب ، وهذا القرب قرب العلم والقدرة ، وأبعاض الإنسان يحجب البعضُ البعضَ ولا يحجب عِلْمَ الله شيءٌ .

وقال الرازي : إشارة إلى أنه لا يخفى عليه خافية ، ويعلم ذوات صدورهم .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ [الناس] .

قال القرطبي : ووسوسته هو الدعاء لطاعته بكلامٍ خفيّ يَصِلُ مفهومه إلى القلب مِنْ غير سماعِ صوتٍ .

قال : ووُصِفَ بالخنّاس لأنه كثير الاختفاء .

وقال قتادة : الخنّاس : الشيطان له خرطوم كخرطوم

الكلب في صدر الإنسان ، فإذا غفل الإنسان وَسْوَسَ له ، وإذا ذَكَـرَ العبدُ ربَّـه خنس .

وقال ابن عباس : إذا ذَكَـرَ اللهَ العبدُ خنس مِنْ قلبـه فذهب ، وإذا غفل الْـتَـقَمَ قلبَـه فحدّثـه ومنّـاه .

وقال إبراهيم التيمي : أول ما يبدو الوَسواس مِنْ قبل الوضوء ، وقيل : سُمِّيَ خنّاساً لأنه يرجع إذا غفل العبدُ عن ذِكْر الله .

وقد روى ابن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وجهين: أحدهما أنه الراجع بالوسوسة عن الهدى ، الثاني أنه الخارج بالوسوسة مِنَ اليقـين .

وقال مقاتل: إنَّ الشيطان في صورة خنزير يجري مِن ابن آدم مجرى الدم في العروق، سلّطه الله على ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ .

وفي الصحيح عن النبيﷺ : " إنَّ الشيطان يجري مِن

ابن آدم مجرى الدم " [١] ، وهذا يُصَحِّح ما قاله مقاتـل .

وروى شهر بن حوشب عن أبي ثعلبة الخشني قال : سألتُ الله أنْ يريني الشيطان ومكانه مِن ابن آدم ، فرأيتـه يداه في يديه ، ورجلاه في رجليه ، ومشاعبه في جسده ، غير أنَّ له خطمـاً كخطم الكلب ، فإذا ذَكَـرَ الله خنس ونكس ، وإذا سَكَتَ عن ذِكْر الله أَخَذَ بقلبـه .

فعلى ما وَصَفَ أبو ثعلبة أنه مُتَشَعّب في الجسد ، أي في كل عضو منـه شعبـة .

ورُوِيَ عن عبد الرحمن بن الأسود أو غيره من التابعين أنه قال وقد كبر سِنّـه : ما أَمِنْـتُ الزنى ، وما يؤمننـي أنْ يُدخل الشيطانُ ذَكَره فيوتده . فهذا القول يُنْبِئُـك أنه مُتَشَعِّب في الجسد ، وهذا معنى قول مقاتـل .

وقيل: الوَسواس اسم فاعل، ويطلق مجازاً على ما يخطر

---

[١] انظر الحديث ص ٤١-٤٢ .

بنفس المرء مِنَ الخواطر التي يتوهّمها ، مِثْل كلامٍ يُكَلِّم به نفسه . والتعريف في الوَسواس تعريف الجنس ، وإطلاقه على معنيَيْه المجازي والحقيقي يشمل الشياطين التي تُلقي في أنفس الناس الخواطر الشريرة .

والخنّاس الشديد الخنس والكثيره ، والمراد أنه صار عادة له ، والخنس الاختفاء . والشيطان يُلَقّب بالخنّاس لأنه يتّصل بعقل الإنسان وعَزْمه مِنْ غير شعورٍ منه ، فكأنه خنس فيه .

ولأنَّ خواطر الشر يهمّ بها صاحبها فيطرق ويتردّد ويخاف تَبَعاتها ، وتزجره النفس اللوّامة ، أو يزَعه وازع الدِّين أو الحياء ، أو خوف العقاب عند الله أو عند الناس ، ثم تُعاوده حتى يطمئن لها ويرتاض بها ، فيُصَمِّم على فعلها فيقترفها ، فكأنَّ الشيطان يبدو له ثم يختفي ، ثم يبدو ثم يختفي ، حتى يتمكّن مِنْ تدليته بغرور .

وقال الرازي : الوَسواس اسمٌ بمعنى الوسوسة ، كالزلزال بمعنى الزلزلة ، وأمّا المصدر فوِسواس بالكسر كزلزال ، والمراد به الشيطان ؛ سُمِّيَ بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه ؛ لأنها صَنْعَتُه وشُغْله الذي هو عاكف عليه .

قال : وأمّا قوله تعالى : ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ ففيه وجوه : أحدها كأنه يقول : الوَسواس الخنّاس قد يكون مِنَ الجِنّة ، وقد يكون مِنَ الناس ، كما قال : ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ [الأنعام: ١١٢] . وكما أنَّ شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى ، فشيطان الإنس يكون كذلك ؛ وذلك لأنه يرى نفسه كالناصح المشفق ، فإنْ زَجَرَه السامع يخنس ويترك الوسوسة ، وإنْ قَبِلَ السامع كلامه بالغ فيه .

وثانيهما : قال قوم : قوله : ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ قسمان مندرجان تحت قوله: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ

ٱلنَّـاسِ ﴾ ، كأنَّ القدر المشترك بين الجن والإنس يُسمّى إنسانـاً ، والإنسان أيضاً يسمّى إنسانـاً ، فيكون لفظ الإنسان واقعاً على الجنس والنوع بالاشتراك . والدليل على أنَّ لفظ الإنسان يندرج فيه الجن والإنس ما رُوِي أنه جاء نفر من الجن فقيل لهم : مَنْ أنتم ؟ فقالوا : أُناس مِنَ الجن. وأيضاً قد سمّـاهم الله رجالاً في قوله : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن: ٦] ، فجـاز أيضاً أنْ يسمّيهم ههنا ناساً . فمعنى الآية على هذا التقدير أنَّ هذا الوَسواس الخنّـاس شديد الخنث ، لا يقتصر على إضلال الإنس بل يضل جنسه وهم الجن ، فجديرٌ أنْ يحذر العاقل شره . وهذا القول ضعيف ؛ لأنَّ جَعْل الإنسان اسمـاً للجنس الذي يندرج فيه الجن والإنس بعيد مِنَ اللغـة ؛ لأنَّ الجـن سُـمّوا جِنّـاً لاجتنانهم ، والإنسان إنساناً لظهوره مِنَ الإيناس وهو الإبصار .

وقال القرطبي : ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّـةِ وَٱلنَّـاسِ ﴾ : أخبر أنَّ الموسوِس قد يكون مِنَ الناس .

وقال الحسن: هما شيطانان ، أمّا شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس ، وأمّـا شيطان الإنس فيأتي علانيـة .

وقال قتادة : إنَّ مِنَ الجن شياطين ، وإنَّ مِنَ الإنس شياطين ، فتعوّذ بالله مِنْ شياطين الإنس والجن .

وقيل: الوسواس هو الشيطان ، وقوله: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّـةِ ﴾ بيان أنه مِنَ الجن، ﴿ وَٱلنَّـاسِ ﴾ معطوف على ﴿ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ والمعنى: قل أعوذ برب الناس مِنْ شر الوسواس الذي هو مِنَ الجِنّـة ومِنْ شر الناس ، فعلى هذا أُمِـرَ بأنْ يستـعيذ مِنْ شر الإنس والجن .

وقيل: إنَّ إبليس يوسوس في صدور الجن كمـا يوسوس في صدور الناس، فعلى هذا يكون ﴿ فِـي صُدُورِ ٱلنَّـاسِ ﴾ عاماً في الجميع ، و ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّـةِ وَٱلنَّـاسِ ﴾ بيـان لِـمـا

يوسـوس في صدره .

﴿ وَعَنْ أَبي هُرَيْرةَ ﷺ قالَ : قالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللهَ تَجاوَزَ لي عَنْ أُمَّتي ما وَسْوَسَتْ بِهِ صُدورُها ما لَمْ تَعْمَلْ أَوْتَكَلّم ﴾.

وفي رواية غيرها : ﴿ إِنَّ اللهَ ﷻ تَجاوَزَ لِأُمَّتي عَمّـا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَها ما لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَـكَلَّمْ بِهِ ﴾[١] .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: والمراد نَفْيُ الحَـرَج عمّـا يقع في النفس حتى يقع العمل بالجـوارح أو القول باللسان

---

[١] متّفق عليه ، رواه باللّفظ الأول البخاري ، وابن ماجة في سننه بزيادة : (وما استُكْرِهوا عليه) ، والبيهقي في المعرفة ، وأبو نعيم في الحلية . وباللّفظ الثاني رواه الستة ، وأحمـد في مـسنده ، وابـن خزيمة في صحيحه ، وابن حبـان ، وأبـو عوانـة في مـستخرجه ، والبيهقي في سننه ، وابن أبي شـيبة في مـصنفه ، وابـن راهويـه في مسنده ، وأبو نعيم في المسند ، وأبو يعلى ، والطبراني في الأوسـط ... وغيرهم .

على وفق ذلك . والمراد بالوسوسة تردّد الشيء في النفس مِنْ غير أنْ يطمئنّ إليه ويستقرّ عنده؛ ولهذا فـرّق العلمـاء بين الهمّ والعزم .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أماليـه : الذي في النفس على قسمين : وسوسـة ، وعزائم . فالوسوسـة هي حديث النفس وهو المتجاوز عنه فقط ، وأمّـا العزائم فكلها مكلّف بها .

وقال صاحب الروضة في شرح صحيح البخاري: المذهب الصحيـح الذي عليه الجمهـور أنَّ أفعـال القلوب إذا استقرّت يؤاخذ بها ، فقولهﷺ : " إنَّ الله تجاوز عن أمتـي ما وَسوستْ به صدورها " محمول على ما إذا لم تستـقرّ ، وذلك معفـو بلا شـك ؛ لأنه لا يمكن الانفكـاك عنـه بخلاف الاستقرار .

ثم نقـل صاحب الأزهـار عن الإحيـاء ما حاصلـه :

إنَّ لأعمـال القلب أربع مراتب : الأول الخاطـر ، كمـا لو خَطَر له صورة امرأة مثلاً خلف ظهره في الطريق ، لو الْتَفَتَ إليها يراها . والثاني هيجان الرغبة إلى الالتفات إليها ، ونُسَمِّيـه مَيْـل الطَّـبْع ، والأول حديث النفس . والثالث حُكْم القلب بأنْ يفعل ، أي ينظر إليها ، فإنَّ الطبع إذا مال لم تندفع الهمة والنيّـة ما لم تندفع الصوارف ، وهي الحياء والخوف مِنَ الله تعالى أو مِنْ عباده ، ونُسَمِّيـه اعتقاداً . والرابع تصميم العزم على الالتفات وجَزْم النيّـة فيه ، ونُسَمّيـه عزماً بالقلب . أمّـا الخاطر فلا يؤاخذ به ، وكذا الميـل وهيجان الرغبة ؛ لأنهمـا لا يدخلان تحت الاختيار ، وهما المرادان بقوله ﷺ : " إنَّ الله تجاوز عن أمتي ... الحديث " . وأمّـا الثالث وهو الاعتقاد ، فهو مردّد بين أنْ يكون اختياراً لا ينكره ، واضطراراً ينكره . فالاختياري يؤاخذ والاضطراري لا يؤاخذ . وأمّـا الرابع

وهو العزم والهمّ بالفعل فإنه يؤاخذ به ، وعليه تنزل الآيات التي دَلَّتْ على مؤاخذة أعمـال القلوب ، إلّا أنه إنْ تَـرَكَ خوفاً مِنَ الله تعالى كُتبت له حسنة ؛ لأنَّ همّـه سيئة ، وامتناعه عنها مجاهدة مع نفسه ، فتكون حسنة تزيـد عليها . وإنْ تَـرَكَها لِعائـقٍ أو فاتـها ذلك لعدم الحصول، كُتبت عليه سيئة للعزم والهِمّـة الجازمة. والدليل القاطع على ذلك قول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح المتّـفق على صحتـه : " إذا التقى المسلمـان بِسَيْفَيْهِمـا فالقاتل والمقتول في النار ، قيل : يا رسول الله ، فمـا بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه " . وهذا صريح في أنه صار إلى النار ووَقَعَ فيها بمجرد العزم والنيّـة ، وإنْ مات ولم يعمل وقُتِـلَ مظلوماً . وكيف لا يؤاخذ بأعمـال القلب الجازمة والكِبْـرُ والعُجب والنفاق والحسد وغيرها مِنَ الأوصاف الذميمة يؤاخذ بها ؟! وقال

رسول الله ﷺ : " الإثم ما حاك في الصدر " ، وقال : البِـرّ ما اطمأنّ إليه القلب واطمأنّت إليه النفس ، والإثم مـا حاك في نفسك وتردّد في صدرك وإنْ أفتاك الناس " [١] .

وقال القاري في المرقاة : قيل : الحديث يدل على أنَّ التجاوز المذكور خاصيّـة هذه الأمة ، وعلى التوجيه الذي نَـقَلَـه صاحب الأزهار مِنَ الروضة والإحياء يلزم أنه يكون عاماً لجميع الأمم ؛ لأنَّ ما لا يدخل تحت الاختيار لا يؤاخذ به شخصٌ مِنَ الأشخاص لقولـه تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ . فالصواب ما قاله الطيبي مِنْ أنَّ الوسوسـة ضرورية واختيارية ، فالضرورية مـا يجري في الصدور مِنَ الخواطر ابتداءً ولا يقدر الإنسان

---

١) رواه أحمد في مسنده ، والدارمي في سـننه ، وابـن أبي شـيبة في مصنفه ، وأبو يعلى في مسنده ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقـي في دلائل النبوة ، وابن عساكر في تاريخه .

على دَفْعه ، فهو مَعْفُوٌّ عن جميع الأُمم . والاختيارية هي التي تجري في القلب وتستمر ، وهو يقصد ويعمل به ويتلذّذ منه ، كما يجري في قلبه حب امرأة ويدوم عليه ويقصد الوصول إليها ... وما أشبه ذلك مِنَ المعاصي ، فهذا النوع عفا الله عن هذه الأمة خاصّة ؛ تعظيماً وتكريماً لنبينا عليه الصلاة والسلام وأُمته ، وإليه يُنظر قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ ﴾ . وأمّا العقائد الفاسدة ومساوئ الأخلاق وما ينضم إلى ذلك ، فإنها بمعزل عن الدخول في جملة ما وسوست به الصدور. قال : وهو كلام حسن ؛ ولهذا قيّده النبيﷺ بقوله : " ما لم تعمل أو تتكلّم " ، إشارة إلى أنَّ وسوسة الأعمال والأقوال معفوّة قبل ارتكابها ، وأمّا الوسوسة التي لا تعلّق لها بالعمل والكلام مِنَ الأخلاق والعقائد فهي ذنوب بالاستقرار .

وذكر الإمام النووي أنَّ مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب أنَّ مَنْ عزم على المعصية ووطّن نفسه عليها أَثِمَ في اعتقاده وعزمه . ويحمل ما وَقَعَ في أمثال قوله عليه الصلاة والسلام : " إذا هَمَّ عبدي بسيئة فلا تكتبوا عليه ، فإنْ عَمِلها فاكتبوها سيئة ... الحديث "[1] فيمَنْ لم يوطّن نفسه على المعصية ، وإنما مرّ ذلك بفِكْرٍ مِن غير استقرار . ويُسمّي هذا همّاً ، ويفرّق بين الهم والعزم . وهذا مذهب القاضي أبي بكر ، وخالفه كثير مِنَ الفقهاء والمحدّثين وأَخَذوا بظاهر الحديث .

وقال القاضي عياض : عامة السلف وأهل العلم مِنَ الفقهاء والمحدّثين على ما ذَهَبَ إليه القاضي أبو بكر ؛

---

[1]) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة ، والترمذي ، والنسائي ، وأحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه ، وأبو عوانة في مستخرجه ، والبيهقي ، وأبو يعلى في مسنده ، وأبو نعيم ، والطبراني ... وغيرهم .

للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمـال القلوب ، لكنّهم قالوا : إنَّ هذا العزم يُكتب سيئةً وليست السيئة التي هَمَّ بها ؛ لكونه لم يَعْمَلْها وقطع عنها قاطع غير خوف الله تعالى والإنابة ، لكنَّ الإصرار والعزم معصية ، فصار تَـرْكـه لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأَمّارة حَسَنة . فأمـّا الهمّ الذي لا يُكتب فهي الخواطر التي لا يوطّن النفس عليها ، ولا يصحبها عَقْد ولا نيّـة وعزم . وذَكَر بعضُ المتكلّمين خلافاً فيمـا إذا تَـرَكها لغير خوف الله تعالى بل لخوف الناس، هل تُكتب حسنة ؟ قال: لا ؛ لأنه إنمـا حَـمَله على تَـرْكها الحيـاء ، وهذا الخلاف ضعيف لا وجه له . هذا آخر كلام القاضي ، وهو ظاهر حسن لا مزيد عليـه .

وقال النووي في (الأذكار) : فأمّـا الخواطر وحديث النفس إذا لم يستقرّ ويستمر عليه صاحبه فمعفوّ عنه

باتّـفاق العلمـاء ؛ لأنه لا اختيار له في وقوعه ، ولا طريق له إلى الانفكاك عنه، وهذا هو المراد بمـا ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إنَّ الله تعالى تجاوز لأمتي ما حَدَّثَتْ به أنفسَها ما لم تتكلّم به أو تعمل " . قال العلمـاء : المراد به الخواطر التي لا تستقر ، قالوا : وسواء كان ذلك الخاطر غِيبـةً أو كفراً أو غيره ، فمَنْ خَطَرَ له الكفر مجرّد خَطَرانٍ مِنْ غير تعمّدٍ لِتَحْصيله ، ثم صَرَفَه في الحال ، فليس بكافر ولا شيء عليه .

قال : وسبب العفو ما ذكرناه مِن تعذّر اجتنابه ، وإنمـا الممكن اجتناب الاستمرار عليه ؛ فلهذا كان الاستمرار وعَـقْد القلب حراماً . ومهمـا عرض لك هذا الخاطر بالغيبـة وغيرها مِنَ المـعاصي ، وَجَبَ عليك دَفْعـه بالإعراض عنه وذِكْر التأويلات الصارفة له عن ظاهره .

وقال الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء : إذا وَقَعَ في

قلبك ظن السوء فهو مِنْ وسوسة الشيطان يُلقيه إليك ، فينبغي أنْ تُكَذِّبه فإنه أفسق الفسّاق ، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ [الحجرات] . فلا يجوز تصديق إبليس ، فإنْ كان هناك قرينة تدل على فسادٍ واحْتُمِلَ خلافُه لم تَجُزْ إساءة الظنّ .

وقال ابن علان في (الفتوحات الربانية): قال العلماء: ما يَرِدُ على القلب أربعة أقسام : رحماني ، وملكي ، وشيطاني ، ونفساني . فالأوّلان في الخير ، والآخران في الشر . والفرق بين الأوّلَيْن أنه إنْ لم يجد المرء بُدّاً مِمّا وقع في قلبه مِنْ داعي الخير وإجابته فهو رحماني ، وإلّا فملكي. وبين الأخيرَيْن أنه إنْ كان إذا انتقل عنه إلى خاطر سوء آخر انصرف الخاطر الأول فشيطاني ، وإلّا فنفساني ؛ لأنَّ الشيطان غرضه مُطْلَق العصيان ، فإذا أَبْدل

خاطر السوء بمِثله حصل مراده . ولا كذلك النفساني ، فقد يكون غرضها معصيـةً خاصة لا تنصرف عنها إلى غيرها وإنْ ماثلـه .

ثم الخواطر وحديث النفس لها خمس مراتب : هاجس ، فواجس ، فحديث نفس ، فعزم ، فتصميم . فالأول مـا يهجس فيها ثم يذهب فوراً ، والثاني يتحرّك فيها قليلاً ثم يذهب ، ولا مؤاخذة بهمـا . والثالث أنْ يتحرّك فيها مع ضده ، فتصير النفس راكنة لهذا تارّة ولهذا أخرى مِنْ غير أنْ يعزم على واحد منهمـا ، ولا مؤاخذة بذلك أيضاً على الأصح ، بل حُكِيَ الاتّـفاق عليه . وهذه المراتب الثلاث لا أَجْـر فيها في الحسنات أيضاً . والرابع هو أنْ يتحرّك فيها ويثبت ويكون أرجح مِنْ ضده ويعزم عليه ، واختلفوا في المؤاخذة عليه ، فقال المحققون : نعم ، كمـا نقله عنهم السبكي ؛ للخبر في التقاء المسلمَيْن بسيفيهمـا

المعلّل لإثم المقتول بأنه كان حريصاً على قَـتْل صاحبه . ونقل عياض قبله مِثْل ذلك عن عامة السلف وأهل العلم مِنَ الفقهاء والمحدّثين ؛ للأحاديث والآيات الدالّة على المؤاخذة على ذلك ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [النور: ١٩] . وقد تظاهرت نصوص الشرع على تحريم أعمـال القلب مِنْ نحو الغِيبة ، وإرادة السوء بالمؤمن مع العزم المستقرّ . وخالف بعضهم فقال: لا يؤاخذ به ، ونُسِبَ للشافعي وابن عباس لتصريح اللغويّـين أنَّ الهـمَّ هو العـزم وفيه نظـر ، إذ اللّغويّـون لا يراعون هذه الدقائق . وقيل : يؤاخذ بالهمّ بالمعصية في حَرَم مكة دون غيره ، وهو رواية عن أحمد ، وبه قال ابن مسعود ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ ﴾ ... الآية [الحج: ٢٥] . ويرد بأنَّ الإرادة هي القصد ، وهو العزم الذي هو أخصّ مِنَ الهمِّ ، ويتأيّـد بمـا مـرّ عن

المحقّقين . والخامس هو أنْ يصمّم عليه بحيث ينعدم ضده ، وبه المؤاخذة بالأولى كما ذكره في (فتح الإله) .

﴿ وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ صَفِيّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قالَتْ : كانَ رَسولُ الله ﷺ مُعْتَكِفاً فَأَتَيْتُهُ أَزورُهُ لَيْلاً ، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ ، فَقامَ مَعي لِيَقْلِبَني - وَكانَ مَسْكَنُها في دارِ أُسامَةَ بْنِ زَيْدٍ - . فَمَرَّ رَجُلانِ مِنَ الأَنْصارِ ، فَلَمّا رَأَيا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعا ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : عَلى رِسْلِكُما إِنَّها صَفِيّةُ بِنْتُ حُيَيّ ، فَقالا : سُبْحانَ الله يا رَسولَ الله ! قالَ : إِنَّ الشَّيْطانَ يَجْري مِنَ الإِنْسانِ مَجْرى الدَّمِ ، وَإِنّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ في قُلوبِكُما سُوءاً - أَوْ قالَ : شَيْئاً - ﴾ [1] .

---

[1]) رواه الشيخان في صحيحيهما ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأحمد في مسنده ، وابن خزيمة في صحيحه ، وابن حبان ، والدارمي في سننه ، والبيهقي ، وعبد الرزاق في مصنفه ، ==

وفي رواية غيرها : ﴿ **عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ مَعَ إِحْدى نِسائِهِ ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَدَعاهُ ، فَجاءَ فَقالَ : يا فُلانُ هَذِهِ زَوْجَتي فُلانَةُ ، فَقالَ : يا رَسولَ الله مَنْ كُنْتُ أَظُنُّ بِهِ فَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ بِكَ ، فَقالَ رَسولُ الله ﷺ : إِنَّ الشَّيْطانَ يَجْري مِنَ الإِنْسانِ مَجْرى الدَّمِ** ﴾ (١) .

قال في المرقاة : " **الشيطان** " : أي كَيْده ووسواسه . " **مجرى الدم** " : أي يجري مِثْل جريان الدم في أنه لا يحسّ بجريه كالدم في الأعضاء . شبّه سريان كَيْده وجَريان وساوسه في الإنسان بجريان دمه في عروقه وجميع أعضائه ، فهو كناية عن تمكّنه مِنْ إغواء الإنسان

وعبد بن حميد في مسنده ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو نعيم ، وأبو يعلى ، والطبراني في الكبير ، والضحاك في الآحاد .

١) رواها مسلم في صحيحه ، والبخاري في الأدب ، وأبو داود في سننه ، وأحمد في مسنده ، وأبو يعلى ، والبيهقي في الشعب والآداب ، والخرائطي في المكارم ، والقضاعي في الشهاب .

وإِضْلاله تمكّناً تامّاً ، وتصرّفاً فيه تصرّفاً كاملاً ، بواسطة نفسه الأَمّارة بالسوء الناشئ قواها مِنَ الدم .

ولقد صدق يحيى بن معاذ حيث قال : الشيطان فارغ وأنت مشغول ، وهو يراك وأنت لا تراه ، وأنت تنسى الشيطان وهو لا ينساك، ومِنْ نفسك للشيطان عليك عون .

وقال القاضي وغيره : قيل : هو على ظاهره وأنَّ الله تعالى جَعَلَ له قوة وقدرة على الجري في باطن الإنسان مجاري دمه . وقيل : هو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته ، فكأنه لا يفارق الإنسان كما لا يفارق دمه . وقيل : يلقي وسوسته في مسامٍّ لطيفة مِنَ البدن ، فتَصِلُ الوسوسة إلى القلب ، والله أعلم .

وقال أبو الطيب في (عون المعبود) : فاشتركا في شدة الاتّصال وعدم المفارقة .

ومِنَ الفوائد في هذا الحديث قال الإمام النووي : وفيه

الاستعداد للتحفّظ مِنْ مكايد الشيطان ، فإنه يجري مِنَ الإنسان مجرى الدم ، فيتأهّب الإنسان للاحتراز مِنْ وساوسه وشره ، والله أعلم .

﴿ وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدٍ قالَ : شُكِيَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ الرَّجُلُ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَجِدُ الشَّيْءَ في الصَّلاةِ ، قالَ : لا يَنْصَرِف حَتّى يَسْمَعَ صَوْتاً أَوْ يَجِدَ ريحاً ﴾ (١) .

وفي رواية غيرها : ﴿ عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ : قالَ رَسولُ الله ﷺ : إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الشَّيْطانُ في صَلاتِهِ فَقالَ : إِنَّكَ قَدْ أَحْدَثْتَ ، فَلْيَقُلْ: كَذَبْتَ ، ما لَمْ يَجِدْ ريحاً بِأَنْفِهِ ،

---

١) رواه البخاري ، ومسلم واللّفظ له ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، والشافعي ، وأحمد في مسنده ، وابن خزيمة في صحيحه ، وابن حبان ، والبيهقي ، وأبو عوانة في مستخرجه ، وأبو نعيم في مسنده ، والحميدي ، وابن أبي شيبة في مصنفه ، وابن عبد البر في التمهيد .

أَوْ يَسْمَعْ صَوْتاً بِأُذُنِـهِ ﴾ [١] .

قال الإمام النووي : هذا الحديث أَصْلٌ مِنْ أصول الحديث ، وقاعدة عظيمة مِن قواعد الدِّين ، وهي أنَّ الأشياء يُحْـكَم ببقائها على أُصولها حتى يُـتَـيَـقَّنُ خلاف ذلك ، ولا يضرّ الشك الطارئ عليها . فمِنْ ذلك مسألة الباب التي وَرَدَ فيها الحديث ، وهي أنَّ مَنْ تيقّن الطهارة وشكّ في الحدث حُكِمَ ببقائه على الطهارة ، لا فرق بين حصول الشك في نفس الصلاة وحصوله خارج الصلاة ، هذا مذهبنـا ومذهب جمـاهير العلمـاء من السلف والخلف . قال أصحابنا : ولا فرق في شَكِّه بين أنْ يستوي الاحتمـالان في وقوع الحدث وعدمه ، أو يترجّح أحدهما

---

[١] رواه أحمد في مسنده ، وابن خزيمة في صحيحه ، وابن حبان ، وابن أبي شيبة في مصنفه ، وعبد الرزاق ، وأبو يعـلى في مـسنده . ونحوه عند الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة .

ويغلب في ظنه ، فلا وضوء عليه في كل حال ، أمّـا إذا تيقّن الحدث وشكّ في الطهارة فإنه يلزمـه الوضوء بإجمـاع المسلمين .

قال : ومِنْ مسائل القاعدة المذكورة أنَّ مَنْ شَكَّ في طلاق زوجته ، أو عِتْق عبده ، أو نجاسة الماء الطاهر ، أو طهارة النجس ، أو نجاسة الثوب أو الطعام أو غيره ، أو أنه صلّى ثلاث ركعات أو أربعاً ، أو أنه ركع وسجد أم لا ، أو أنه نوى الصوم أو الصلاة أو الوضوء أو الاعتكاف وهو في أثناء هذه العبادات ؟ وما أشبه هذه الأمثلة ، فكلُّ هذه الشكوك لا تأثـير لها ، والأصل عدم هذا الحادث .

وقال الحافظ ابن حجر : وحمل بعضهم الحديث على مَنْ كان به وسواس ، وتمسّك بأنَّ الشكوى لا تكون إلّا عن عِلّة ، وأُجيب بمـا دلّ على التعميم ، وهو حديث

أبي هريرة عند مسلم ولفظه : " إذا وَجَدَ أحدكم في بطنه شيئاً فأَشْكَلَ عليه أَخَرَجَ منه شيء أم لا ؟ فلا يخرجنّ مِنَ المسجد حتى يَسمع صوتاً أو يجد ريحاً " .

وقال أبو الطيب آبادي : وفيه دليل واضح على أنَّ اليقين لا يزول بالشك في شيءٍ مِنْ أَمْر الشرع .

﴿ وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قالَ : قالَ رَسولُ الله ﷺ : يَأْتي الشَّيْطانُ أَحَدَكُمْ فَيَقولُ : مَنْ خَلَقَ كَذا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذا ؟ حَتّى يَقول : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلْيَنْتَهِ ﴾ (١) .

---

١) حديث صحيح متّفق عليه مِن عدة روايات ، رواه بهذا اللفظ الشيخان ، والنسائي في سننه ، وأبو عوانة في مستخرجه ، وأبو نعيم في مسنده ، والضحاك في السنة .

وفي رواية غيرها لمسلم وأبي داود وأحمد : " فلْيَقُلْ آمنتُ بالله ورسله ". وفي رواية لأبي داود والنسائي مِنَ الزيادة : " فقولوا :

==

قال الإمام النووي : وأمّـا قوله ﷺ : " **فليستعذ بالله ولينتـه** " فمعناه : إذا عرض له هذا الوسواس فليلجأ إلى الله تعالى في دَفْع شره عنه ، وليُعرض عن الفِكْر في ذلك ، وليعلم أنَّ هذا الخاطر مِن وسوسة الشيطان ، وهو إنمـا يسعى بالفساد والإغواء ، فليُعرض عن الإصغاء إلى وسوسته ، وليبادر إلى قَطْعها بالاشتغال بغيرها .

وقال الإمام المـازري رحمه الله : ظاهر الحديث أنه ﷺ

﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص] ، ثم ليتفـل عـن يـساره ثلاثاً وليستعذ مِنَ الشيطان " .

ورواه ابن أبي الدنيا عن ابـن عمـر وزاد في آخـره : " فـإنَّ ذلـك يَذهب عنـه " .

وروى ابن السني عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " مَنْ وَجَدَ مِنْ هذا الوسواس فليقل : آمنّـا بالله ورسله ثلاثاً ، فإنَّ ذلك يذهب عنه " .

أَمَرهم أنْ يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها ، مِنْ غير استدلالٍ ولا نظر في إبطالها . قال : والذي يُقال في هذا المعنى أنَّ الخواطر على قسمين : فأمّـا التي ليست بمستقرة ولا أَوْجَبَتْها شُبهة طَرَأَتْ ، فهي التي تُدفع بالإعراض عنها . وعلى هذا يُحمل الحديث ، وعلى مِثْلها ينطلق اسم الوسوسة ، فكأنه لَـمّـا كان أَمْراً طارئاً بغير أصلٍ ، دُفِعَ بغير نَظَرٍ في دليلٍ لا أَصْلَ له يُنظر فيه . وأمّـا الخواطر المستقرة التي أَوْجَبتها الشبهة ، فإنها لا تُدفع إلّا بالاستدلال والنظر في إبطالهـا والله أعلم .

وقال القاري في المرقاة : " **فليستعذ بالله** " إيمـاء إلى قوله عليه الصلاة والسلام : " لا حول ولا قوة إلّا بالله " ، فإنَّ العبد بِحَوْله وقوته ليس له قوة المغالبة مع الشيطان ومجادلته ، فيجب عليه أنْ يلتجئ إلى مولاه ، ويعتصم بالله مِنَ الشيطان الذي أَوْقعه في هذا الخاطر الذي لا أقبح

منه ، فيقول بلسانه : [أعوذ بالله مِنَ الشيطان الرجيم] ، ويلوذ بجنابه إلى جنابه أنْ يَدفع عنه شرَّه وكَـيْده ، فإنه مع اللطف الإلهي لا أضعف منه ولا أذل ، فإنه مشبّـه بالكلب الواقف على الباب ؛ ولذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦] ، أي بالنسبة إلى القوة الإلهية . " **ولينتـه** " : أي ليترك التفكّر في هذا الخاطر وليشتغل بأَمْرٍ آخر ؛ لئلّا يستحوذ عليه الشيطان ، فإنه إنمـا أَوْقعه فيه رجاء أنْ يقف معه ويتمكّن في نفسه ، فيحصل له شك وريب في تنزيـهه تعالى عن سِمـات الحدوث وإنْ دَقَّتْ وخَفِيَتْ . فمَنْ تنبّـه وكفّ عن الاسترسال مع ذلك الخاطر ، وأَشْغَـلَ نفسه حتى انصرفت عنه فقد خلص ، ومَنْ لا فقد ارتبك ، فيُخشى عليه مزلّـة القدم في قعر جهنم .

قال : وإنمـا أُمِرَ بِذَيْنـك دون الاحتجاج والتأمّـل

لأمرين : أحدهما أنَّ العلم باستغناء الله تعالى عن المؤثّر والموجِد ضروري لا يَقبل احتجاجاً ، وإنما ذلك شيء يلقيه الشيطان إمّا ليحجّك إنْ جادلتَه ؛ لأنه مسلّط على القلوب بإلقاء الوساوس عليها ليختبر إيمانها ، ووساوسه غير متناهية ، فمتى عارَضْتَه بمسلك وَجَدَ مسلكاً آخر إلى ما يريده مِنَ المغالطة والتشكيك . وإمّا ليضيّع وقتك ويكدّر عيشك إن اسْتَرسلتَ معه وإنْ حَجَجْتَه . فلا أَخْلَص لك مِنَ الإعراض عنه جملة ، والالتجاء إلى الله تعالى بالاستعاذة منه ، كما قال عزّ مِنْ قائلٍ : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] . ثانيهما أنَّ الغالب في موارد هذه الخواطر أنه إنما ينشأ مِنْ ركود النفس وعدم اشتغالها بالمهمات المطلوبة منها ، فهذا لا يزيده فِكْره في ذلك إلّا الزَّيْغ عن الحق ، فلا علاج له إلّا الالتجاء بحَوْل الله

وقوته ، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : " **فليستعذ بالله ولينتـه** " : أي عن الاسترسال معه في ذلك ، بل يلجأ إلى الله في دَفْعِـه ، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة ، فينبغي أنْ يجتهد في دَفْعها بالاشتغال بغيرها .

وقال الخطابي : وجه هذا الحديث أنَّ الشيطان إذا وسوس بذلك فاستعاذ الشخص بالله منه ، وكفّ عن مطاولته في ذلك اندفع ، قال: وهذا بخلاف ما لو تعرّض أحدٌ مِن البشر بذلك، فإنه يُمكن قَطْعه بالحُجّـة والبرهان. قال : والفرق بينهمـا أنَّ الآدمي يقع منه الكلام بالسؤال والجـواب ، والحـالُ معه محـصور ، فإذا راعى الطريقـة وأصاب الحُجّة انقطع . وأمّـا الشيطان فليس لوسوسته انتهاء ، بل كلّمـا ألزم حُجّـة زاغ إلى غيرها ، إلى أنْ يُفضي بالمرء إلى الحيرة ، نعوذ بالله مِنْ ذلك .

وقال الطيبي : إنما أُمِرَ بالاستعاذة والاشتغال بِأَمْرٍ آخر ولم يُؤمر بالتأمّل والاحتجاج ؛ لأنَّ العلم باستغناء الله جل وعلا عن الموجِد أمر ضروري لا يقبل المناظرة ، ولأنَّ الاسترسال في الفِكْر في ذلك لا يزيد المرءَ إلّا حيرة ، ومَنْ هذا حاله فلا علاج له إلّا الملجأ إلى الله تعالى والاعتصام به .

وفي موضع آخر قال : والحكمة في ذلك أنَّ العِلْمَ باستغناء الله تعالى عن كلِّ ما يوسوسه الشيطان أَمْرٌ ضروري لا يحتاج للاحتجاج والمناظرة ، فإنْ وقع شيء مِنْ ذلك فهو مِنْ وسوسة الشيطان وهي غير متناهية ، فمهما عورض بحجّة يجد مسلكاً آخر مِنَ المغالطة والاسترسال، فيضيع الوقت إنْ سَلِمَ مِنْ فتنته. فلا تدبير في دَفْعه أقوى مِنَ الإلجاء إلى الله تعالى بالاستعاذة به ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ

بِٱللَّهِۚ﴾ ... الآيـة [الأعراف: ٢٠٠] .

وقال القرطبي في تفسيره : وأمّـا أَمْـرُه بالاستعاذة فلِكَوْن تلك الوساوس مِنْ آثار الشيطان ، وأمّـا الأَمْر بالانتهاء فعن الركون إليها والالتـفات نحوها . فمَنْ كان صحيح الإيمـان واستعمل ما أَمَـرَه به ربه ونبيّـه ، نَفَعَـه وانتفع به . وأمّـا مَنْ خالجته الشبهة وغلب عليه الحس ، ولم يقدر على الانفكاك عنها ، فلا بد مِنْ مشافهته بالدليل العقلي ... إلى آخر ما قال .

وقال أبو القاسم التيمي في كتابه (الحجة) : أَمَـرَ رسول الله ﷺ بالكفّ والانتهاء عن المحاججة والمناظرة في شأن الرب ﷻ بالعقول ، واجتناب ما يورث شبهة في القلوب ، والاستعاذة بالله لِيَعْصِمه ، فلا يتسلّط الشيطان عليه فلا يضلّـه .

فأرشد ﷺ هنا إلى أمرين هامين :

١- الالتجاء إلى الله سبحانه والاعتصام بحبله ، والانطراح ببابه فهو الكريم سبحانه .

٢- الانتهاء والإعراض عن هذا الأمر ، والاشتغال بغيره مِنَ الأمور النافعة .

﴿ وَعَنْ أَبي هُرَيْرة ﷺ قالَ : جاءَ ناسٌ مِنْ أَصْحابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلوهُ : إِنّا نَجِدُ في أَنْفُسِنا ما يَتَعاظَمُ أَحَدُنا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ؟ قالَ : وَقَدْ وَجَدْتُموهُ ؟ قالوا : نَعَم ، قالَ : ذَلِكَ صَريحُ الإيمانِ ﴾ (١) .

---

١) رواه مسلم في الصحيح واللّفظ له ، وأبو داود في سننه ، وابن حبان في صحيحه ، وأبو عوانة في مستخرجه ، وأبو نعيم في مسنده ، والبيهقي في شعبه ، وابن أبي عاصم في السنة .

وفي رواية لأحمد في مسنده عن أبي هريرة قال : " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني أُحَدِّث نفسي بالحديث لَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السماء أحبّ إليّ مِنْ أنْ أتكلّم به . قال : ذلك صريح الإيمان " .

==

وللبخاري في الأدب ، وأبي يعلى في مسنده ، والطبراني في الأوسط ، عن أبي هريرة : " قالوا : يا رسول الله ، إنّا نجد في أنفسنا شيئاً ما نُحِبّ أنْ نتكلّم به ، وإنَّ لنا ما طلعت عليه الشمس . قال : أَوَ قد وجدتُم ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : ذلك صريح الإيمان " .

وللبخاري في الأدب أيضاً عن شهر بن حوشب قال : " دخلتُ أنا وخالي على عائشة فقال : إنَّ أحدنا يعرض في صدره ما لو تكلّم به ذَهَبَتْ آخرته ، ولو ظَهَرَ لَقُتِلَ به . قال : فكبَّرَتْ ثلاثاً ثم قالت : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : إذا كان ذلك مِن أحدكم فليُكَبِّر ثلاثاً ، فإنه لن يُحِسّ ذلك إلّا مؤمنٌ " .

ولأبي داود في سننه ، والنسائي ، وأحمد في مسنده عن ابن عباس قال : " جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنَّ أحدنا يجد في نفسه يُعَرِّضُ بالشيء لَأَنْ يكون حُمَمَةً أحب إليه مِنْ أنْ يتكلّم به ؟ فقال : الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله الذي رَدَّ كَيْده إلى الوسوسة " .

وللنسائي في سننه والبيهقي في الشعب عن عمارة بن أبي حسن

==

وفي رواية أخرى : ﴿ **عَنْ عَبْدِ اللهِ قالَ : سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الوَسْوَسَةِ قالَ : تِلْكُ مَحْضُ الإيمـانِ** ﴾ [١] .

قال النووي : فقوله ﷺ : " **ذلك صريح الإيمـان** " ، و " **محض الإيمـان** " معناه : استعظامُكم الكلام به هو صريح الإيمـان ، فإنَّ استعظام هذا وشدة الخوف منه ومِنَ النطق به فضلاً عن اعتقاده ، إنمـا يكون لِـمَن استكمل الإيمـان استكمـالاً محقّـقاً ، وانتفت عنه الريبـة والشكوك . وقيل: معناه أنَّ الشيطان إنمـا يوسوس لِـمَنْ

المازني عن عمه " أنَّ الناس سألوا رسـول الله ﷺ عـن الوسوسـة التي يجدها أحدهم ، لَأَنْ يسقط مِنْ عند الثريا أحبّ إليه مِـنْ أنْ يـتكلّم بـه ؟ فقـال رسـول الله ﷺ : ذاك صريـح الإيمـان ، إنَّ الشيطان يأتي العبد فيمـا دون ذلك ، فإذا عُصِمَ منـه وقـع فيمـا هنالك " .

١) رواه مسلم ، وأبو عوانة في مستخرجه ، والجرجاني في أماليه ، والطبراني في الكبير ، وابن عساكر في تاريخه .

أَيِسَ مِنْ إغوائه ، فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه . وأمّا الكافر فإنه يأتيه مِنْ حيث شاء ، ولا يقتصر في حقه على الوسوسة ، بل يتلاعب به كيف أراد . فعلى هذا معنى الحديث : سبب الوسوسة محض الإيمان ، أو الوسوسة علامة محض الإيمان ، وهذا القول اختيار القاضي عياض .

وقيل : المراد أنَّ كراهيتهم لتلك الوسوسة ودَفْعهم لها صريح الإيمان .

وقال ابن حجر في الفتح : نقل الخطابي : المراد بصريح الإيمان هو الذي يعظم في نفوسهم إنْ تكلّموا به ، ويمنعهم مِنْ قبول ما يلقي الشيطان، فلولا ذلك لم يتعاظم في أنفسهم حتى أنكروه . وليس المراد أنَّ الوسوسة نفسها صريح الإيمان ، بل هي مِنْ قِبَل الشيطان وكَيْده .

وقال القاري في المرقاة : " **صريح الإيمان** " أي خالصه ، يعني أنه أَمارته الدالة صريحاً على رسوخه في

قلوبكم ، وخلوصها من التشبيه والتعطيل ؛ لأنَّ الكافر يصرّ على ما في قلبه مِنْ تشبيه الله سبحانه بالمخلوقات ويعتقده حَسَناً ، ومَن اسْتَقْبَحَها وتَعاظمها لعِلْمه بقُبْحها وأنها لا تليق به تعالى كان مؤمناً حقاً وموقناً صدقاً ، فلا تزعزعه شبهة وإنْ قويت ، ولا تحل عقد قلبه ريبة وإنْ موّهت . ولأنَّ مَنْ كان إيمانه مشوباً يَقبل الوسوسة ولا يردّها . وقيل : المعنى أنَّ الوسوسة أَمارة الإيمان لأنَّ اللص لا يدخل البيت الخالي ؛ ولذا رُوِيَ عن علي رضي الله عنه وكرّم الله وجهه " أنَّ الصلاة التي لا وسوسة فيها إنما هي صلاة اليهود والنصارى " .

وقيل لبعض السلف : إنَّ اليهود والنصارى يقولون : لا نُوَسْوَس ؟! فقال : صَدَقوا ، وما يصنع الشيطان بالبيت الخَرِب ؟

وقال القرطبي في تفسيره : وهذا ليس على ظاهره ، إذْ لا يَصِحّ أنْ تكون الوسوسة نفسها هي الإيمان ؛ لأنَّ

الإيمـان اليقين ، وإنمـا الإشارة إلى ما وجدوه مِنَ الخوف مِنَ الله تعالى أنْ يعاقَبوا على ما وَقَعَ في أنفسهم ، فكأنه قال : جزعكم مِنْ هذا هو محض الإيمـان وخالصه ؛ لصحة إيمـانكم وعِلْمكم بفسادها . فسمّى الوسوسة إيمـاناً لـمـا كان دَفْعها والإعراض عنها ، والرد لها وعدم قبولها ، والجزع منها ، صادراً عن الإيمـان .

وقال الشوكاني : قوله ﷺ في الحديث : " الحمد لله الذي رَدَّ كَـيْده إلى الوسوسة " ، فإنَّ هذا الحديث يدل أبلغ دلالة على أنَّ الشيطان لا يقدر على المؤمن إلّا بمجرد الوسوسة ، وذلك مِنَ النعم العظيمة ؛ لأنَّ كَـيْد اللّعين كَـيْد عظيم ، وتسلّطه على بني آدم تسلّط شديد ، فإذا رَدَّ الله كَـيْده إلى محض الوسوسة فقد سَلِمَ المؤمن منه ونجا ، ولا يكون من هذا القبيل إلا خُلَّص المؤمنـين .

وقال ابن أبي عز الدمشقي في شرح العقيدة الطحاوية :

فإنَّ وسوسة النفس أو مدافعة وَسواسها بمنزلة المحادثة الكائنة بين اثنين، فمدافعة الوسوسة الشيطانية واستعظامها صريح الإيمـان ومحض الإيمـان .

﴿ وَعَنْ أَبي هُرَيْرةَ ﷺ قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : إِذا نُودِيَ بِالصَّلاةِ أَدْبَـرَ الشَّيْطانُ وَلَهُ ضُراطٌ حَتّى لا يَسْمَعَ الأَذانَ ، فَإِذا قُضِيَ الأَذانُ أَقْبَلَ ، فَإِذا ثُوِّبَ بِها أَدْبَـرَ ، فَإِذا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتّى يَخْطِـرَ بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ ، يَقولُ : اذْكُرْ كَذا وَكَذا ما لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ ، حَتّى يَظَلَّ الرَّجُلُ إِنْ يَدْري كَمْ صَلّى ، فَإِذا لَمْ يَدْرِ أَحَدُكُمْ كَمْ صَلّى ثَلاثاً أَوْ أَرْبَعاً فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جالِسٌ ﴾ (١) .

---

١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهمـا، وأبـو داود في سـننه ، والنسائي ، ومالك في الموطأ ، وأحمد في مـسنده ، وابـن خزيمـة في صـحيحه ، وابـن حبـان ، والـدارمي في سـننه ، والبيهقـي ، ==

وفي رواية مِن حديث أبي سعيد الخدري : ﴿ **إِذا شَكَّ أَحَدُكُمْ في صَلاتِهِ فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلّى ثَلاثاً أَمْ أَرْبَعاً فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَبْنِ عَلى ما اسْتَيْقَنَ ، ثُمَّ يَسْجُد سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ ، فَإِنْ كانَ صَلّى خَمْساً شَفَعْنَ لَـهُ صَلاتَهُ ، وَإِنْ كانَ صَلّى إِتْماماً لِأَرْبَعٍ كانَتا تَرْغيماً لِلشَّيْطانِ** ﴾ (١) .

قال الإمام النووي : قوله : " **حتى يخطر بين المرء ونفسه** " هو بضم الطاء وكسرها ، حكاهما القاضي

وأبو عوانة في مستخرجه ، وابن أبي شيبة في مصنفه ، والطيالسي في مسنده ، وعبد الرزاق ، وأبو نعيم ، وأبو يعلى ، والطبراني في الشاميين ... وغيرهم .

١) رواه مسلم واللّفظ له ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، وابن خزيمة في صحيحه ، وابن حبان ، والدارمي في سننه ، والبيهقي ، وابن أبي شيبة في مصنفه ، وأبو عوانة ، وأبو نعيم في مسنده ، والدارقطني في سننه ، وابن عبد البر في التمهيد ... وغيرهم .

عياض في المشارق ، قال : ضَبَطْناه عن المتـقنين بالكسر ، وسمعنـاه مِن أكثر الرواة بالضم ، قال : والكسـر هو الوجه ومعناه : يوسوس ، وهو مِنْ قولهم : خطر الفحل بذَنَبـه إذا حرّكه فضرب به فخذيه ، وأمّـا بالضم فمِنَ السـلوك والمرور ، أي يدنو منـه فيمرّ بينـه وبين قلبـه فيشغله عمّـا هو فيه . وبهذا فسّره الشارحون للموطأ ، وبالأول فسّره الخليل .

وفي المرقـاة : والمعنـى : حتى يحـول ويحجـز بينهمـا بوسوسة القلب وحديث النفس، فلا يتمكّن مِنَ الحضور في الصلاة .

وقال ابن حجر في الفتح : الظاهر أنَّ المراد بالشيطان إبليس ، وعليه يدلّ كلام كثيـر مِنَ الشرّاح . ويحتمل أنَّ المـراد جنس الشيطـان ، وهو كل متمرّد مِنَ الجن والإنس ، لكنَّ المراد هنا شيطان الجن خاصة .

ثم قال : قوله : " **حتى لا يَسمع التأذين** " ، ظاهره أنه يتعمّد إخراج ذلك إمّا ليشتغل بسماع الصوت الذي يُخرجه عن سماع المؤذن ، أو يصنع ذلك استخفافاً كما يفعله السفهاء ، ويحتمل أنْ لا يتعمّد ذلك بل يحصل له عند سماع الأذان شدة خوفٍ يَحْدُثُ له ذلك الصوتُ بسببها ، ويحتمل أنْ يتعمّد ذلك ليقابل ما يناسب الصلاة مِنَ الطهارة بالحدث . قوله: " **بين المرء ونفسه** " أي قلبه ، قال الباجي : المعنى أنه يحول بين المرء وبين ما يريده مِنْ إقباله على صلاته وإخلاصه فيها . قوله : " **لِما لم يكن يذكر** " : أي لشيء لم يكن على ذِكْره قبل دخوله في الصلاة ، ومِنْ ثم استنبط أبو حنيفة للذي شكا إليه أنه دَفَنَ مالاً ثم لم يهتدِ لمكانه ، أنْ يصلي ويحرص أنْ لا يُحَدِّثَ نفسه بشيء مِن أمر الدنيا ، ففعل فذَكَر مكان المال في الحال . قيل : خصّه بما يعلم دون ما لا يعلم

لأنه يميل لِـمـا يعلم أكثر لتحقّق وجوده ، والذي يظهر أنه أعمّ مِن ذلك ، فيذكّره بمـا سبق له به عِلْمٌ ليشتغل بالـه به ، وبمـا لم يكن سبق له ليوقعه في الفكرة فيه ، وهذا أعمّ مِن أنْ يكون في أمور الدنيا أو في أمور الدين كالعلم . لكن هل يشمل ذلك التفكَّر في معاني الآيات التي يتلوها ؟ لا يبعد ذلك ؛ لأنّ غرضه نقص خشوعه وإخلاصه بأي وجه كان .

وقال ابن عبد البَـرّ في الاستذكار : وذِكْر الله في الأذان تفزع منه القلوب ما لا تفزع مِنْ شيءٍ مِنَ الذِّكْر ؛ لِـمـا فيه مِنَ الجهر بالذِّكْر ، وتعظيم الله فيه وإقامة دينه ، فيُدْبر الشيطان لشدة ذلك على قلبه حتى لا يَسمع الأذان ، فإذا قُضِـيَ النداء أقبل على طبعه وحيلتـه يوسوس في الصدور ، ويفعل ما يقدر مِـمّـا قد سُـلِّطَ عليـه ، حتى إذا ثُـوِّبَ بالصلاة – والتثويب ههنا الإقامة – أدبر أيضاً ،

حتى إذا قُضِـيّ التـثويب أقبـل حتى يخـطر بين المـرء ونفسـه ، فيوسوس في صدره ويشغله بذِكْـر ما لا يحتاج إليـه ؛ ليخلط عليـه حتى لا يدري كم صلّى .

قال : وفي الحديث فضلٌ للأذان عظيم ، ألَا ترى أنَّ الشيطان يُدْبر منه ولا يُدْبر مِنْ تلاوة القرآن في الصلاة ؟ بدليل قوله ﷺ : " فإذا قُضِيَ التثويب أقبل " ، وحسبك بهذا فضلاً لِـمَنْ تدبّـر .

وقال الشوكاني في النيل: والحديث يدل على أنَّ الوسوسة في الصلاة غير مبطلة لها ، وكذا سائر الأعمـال القلبيـة لعدم الفـارق .

﴿ وَعَنْ أَبي العَلاءِ أَنَّ عُثْمـانَ بْنَ أَبي العاصِ أَتى النَّبِيَّ ﷺ فَقالَ : يا رَسولَ الله ، إِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ حالَ بَيْني وَبَيْنَ صَلاتي وَقِراءَتي يَلْبِسُها عَلَـيَّ ؟ فَقالَ رَسولُ الله ﷺ : ذاكَ شَيْطانٌ يُقالُ لَهُ : خَنْزَبٌ ، فَإِذا أَحْسَسْتَـهُ فَتَعَوَّذْ بِالله مِنْهُ ،

وَاتْفِلْ عَلى يَسارِكَ ثَلاثاً . قالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَـهُ اللهُ عَنّي ﴾ (١) .

قال الإمام النووي : وفي هذا الحديث استحباب التعوّذ مِنَ الشيطان عن وسوسته مع التّفل عن اليسار ثلاثاً ، ومعنى" **يَلْبِسها** " أي : يخلطها ويُشَكِّكني فيها ، ومعنى " **حال بيني وبينها** " أي : نكدني فيها ومنعني لذّتها والفراغ للخشوع فيها .

وفي المرقاة : والمعنى : جَعَلَ بيني وبين كمالها حاجزاً مِن وسوسته المانعة مِن روح العبادة وسِرّها ، وهو الخشوع والخضوع . "**فتعوّذ بالله منه**" فإنه لا خلاص مِنْ وسوسته إلّا بحول الله وقوته ، وحفظه ومعونته . " **واتفل على**

---

(١) رواه مسلم في صحيحه واللّفظ له ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، وابن أبي شيبة في مصنفه ، وعبد الرزاق ، وعبد بن حميد في مسنده ، وابن السّني في عمل اليوم والليلة ، والبيهقي في دلائل النبوة ، والطبراني في الكبير .

يسارك " إشارة إلى التنفر والتبعد عن الوسوسة التي تجـرّ إلى كتابة صاحب اليسار، أو إلى طريقة أصحاب الشمـال. و" **ثلاثاً** " لزيادة المبـالغة في المبـاعدة .

﴿ **وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ ﷺ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرينُـهُ مِنَ الجِنِّ ، قالوا : وَإِيّاكَ يا رَسولَ اللهِ ؟ قالَ : وَإِيّايَ ، إِلّا أَنَّ اللهَ أَعانَني عَلَيْهِ فَأَسْلَم** [1] **، فَلا يَأْمُرُني إِلّا بِخَيْرٍ** ﴾ .

---

[1]) قال النووي : " فأسلم " برفع الميم وفتحها ، وهما روايتان مشهورتان ، فمَنْ رَفَعَ قال : معناه أَسْلَمُ أنا مِنْ شره وفتنته ، ومَنْ فتح قال : إنَّ القرين أسلمَ مِنَ الإسلام ، وصار مؤمناً لا يأمرني إلّا بخير. واختلفوا في الأرجح منهمـا ، فقال الخطابي : الصحيح المختـار الرفع ، ورجّح القاضي عياض الفتح وهو المختـار ؛ لقوله ﷺ : " فلا يأمرني إلّا بخير ". واختلفوا على رواية الفتح ، قيل : أسلمَ بمعنى اسْتَسْلَمَ وانقـاد ، وقد جاء ==

وفي بعض الروايات زيادة : ﴿ **وَقَرِينُهُ مِنَ المَلائِكَةِ** ﴾[1] .

قال الإمام النووي : وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير مِنْ فتنة القرين ووسوسته وإغوائه ، فأَعْلَمَنا بأنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان .

وقال القاري في المرقاة : " **قرينه مِنَ الجن** " أي صاحبه منهم ليأمره بالشر ، واسمه الوَسواس ، وهو ولد يولَد لإبليس حين يُولَد لبني آدم ولد . وقوله : " **قرينه مِنَ**

هكذا في غير صحيح مسلم : " فاستسلم " . وقيل : معناه صار مسلماً مؤمناً ، وهذا هو الظاهر .

قال القاضي : واعلم أنَّ الأمة مجتمعة على عِصْمة النبي ﷺ مِنَ الشيطان في جسمه ، وخاطره ، ولسانه .

[1]) رواه مسلم بدون لفظ الزيادة ، وأحمد في مسنده ، وابن خزيمة في صحيحه ، وابن حبان، والدارمي في سننه ، والبيهقي، وأبو يعلى في مسنده ، وأبو نعيم ، وابن أبي شيبة ، والبزار ، والطبراني .

الملائكة " : أي ليأمره بالخير ، واسمه الـمَلْهم . ذكره الحميدي في كتابه ، والصغاني في المشارق عن مسلم ، كذا نقله الطيبـي .

﴿ **وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعودٍ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ لِلشَّيْطانِ لَـمّةً بِابْنِ آدَمَ ، وَلِلْمَلَكِ لَـمّةً . فَأَمّـا لَـمّةُ الشَّيْطانِ فَإِيعادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذيبٌ بِالحَقِّ ، وَأَمّا لَـمّةُ المَـلَكِ فَإِيعادٌ بِالخَيْرِ وَتَصْديقٌ بِالحَقِّ . فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهِ فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرى فَلْيَـتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ ، ثُمَّ قَـرَأَ : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾** ... [البقرة: ٢٦٨] ﴾ [١] .

قال المباركفوري في تحفته : اللَّمّة مِنَ الإلمام ، ومعناه

---

١) رواه الترمذي وقال : حـديث غريـب ، والنـسائي في سـننه ، وابـن حبـان في صـحيحه ، والبيهقـي في الـشعب ، والبـزار في مسنده ، وأبو يعلى ، وابن أبي الدنيا في المكائـد .

النزول والقرب والإصابة ، والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو المَـلَك .

وفي المرقاة : فلَمّة الشيطان تُسمّى وسوسة ، ولَـمّة المـلَك إلهامـاً . قال : ثم الإلهام وإنْ كان غير معتبر في حق الأحكام ، لكنه معتبر في معرفة وساوس النفس ومكايد الشيطان ، وإنمـا قدّمها هنا وأخّرها أولاً ؛ لأنَّ لَـمّة الشيطان شر والابتلاء به أكثر ، فكانت الحاجة ببيانها أمسّ ، ولَـمّـا فرغ منه قدّم لَـمّة المَـلَك تعظيمـاً لشأنها ، وإشعاراً بأنَّ رحمتـه سَبَقَتْ غَضَبَـه .

وقال الإمام الرازي : والأمر في معرفة حقائقها عند الله تعالى، فالشيطان جاثم على أُذن قلبه الأيسر، والمَلَك جاثم على أُذن قلبه الأيمن، فهمـا يدعوانه. ومِنْ صوفية الفلاسفة مَنْ فسّر المَـلَك الداعي إلى الخير بالقوة العقلية ، وفسّـر الشيطان الداعي إلى الشر بالقوة الشهوانية والغضبية .

وقال بعض العلمـاء في هذا المجال: إنَّ الخواطر إنْ كانت تدعو إلى الرذائـل فهي وسوسة ، وإنْ كانت تدعو إلى الفضائل فهي إلهام ، والأصح أنه ليس بحجّة مِنْ غير المعصوم ؛ لأنه لا ثـقة بخواطره .

وقال الحسن : إنمـا هما هَـمّـان يجولان في القلب : همٌّ مِنَ الله تعالى ، وهمٌّ مِنَ العدو . فرَحِمَ الله عبداً وقف عند همِّـه ، فمـا كان مِنَ الله تعالى أمضاه ، وما كان مـِنْ عدوه جاهده .

وقال الإمام الغزالي : إنَّ الآثار الحاصلة في القلب مِنْ جرّاء الخواطر تنقسم إلى قسمين : فسبب الخاطر الدّاعي إلى الخير يُسمّى مَلَـكاً ، وسبب الخاطر الدّاعي إلى الشر يُسمّى شيطانـاً . واللّطف الذي يتهيّـأ به القلب لقبول إلهام الخير يُسمّى توقيفاً ، والذي به يتهيّـأ لقبول وسواس الشيطان يُسمّى إغواء وخذلاناً . والمَـلَك عبارة عن خَلْقٍ

خَلَقه الله تعالى شَأْنه إفاضة الخير ، وإفادة العلم ، وكَشْف الحق ، والوعد بالخير ، والأَمْر بالمعروف . أمّـا الشيطان عبـارة عن خَلْقٍ شَأْنه ضد ذلك ، وهو الوعد بالشر ، والأَمْر بالفحشاء ، والتخويف بالفقر . فالوسوسة في مقابلة الإلهام ، والشيطان في مقابلة المَـلَك ، والتوفيق في مقابلة الخذلان ، فالقلب متجاذب بين الشيطان والمَـلَك .

وقال صاحب تفسير المنار : يشعر كل مَنْ فكّر في نفسه ووازن بين خواطره عندما يهمّ بِأَمْـرٍ فيه وَجْهٌ للحق أو للخير ووَجْهٌ للباطل أو الشر، بأنَّ في نفسه تنازعاً كأنَّ الأمر قد عُرِضَ فيها على مجلس الشورى ، فهذا يورد وذلك يدفع ، وأَحَدٌ يقول : ادفع ، وآخر يقول : لا تفعل، حتى ينتصر أحد الطرفين ويترجّح أحد الخاطرين ، فهذا الشيء الذي أُودع في أنفسنا ونُسمّيه قوة وفِكْراً ، وهو في الحقيقة معنى لا يُدرك كُنْهه ، وروح لا تُـكتنـه حقيقتها ،

لا يبعد أنْ يُسَمِّيه الله تعالى مَلَكاً ، أو يسمي أسبابه ملائكة أو ما شاء مِنَ الأسماء ، فإنَّ التسمية لا حجر فيها على الناس ، فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة ، والسلطان النافذ ، والعلم الواسع ؟

وإنَّ الإمام الغزالي سبق بيان هذا المعنى ، وعبّر عنه بالسبب وقال : إنه سُمِّيَ مَلَكاً ، فإنه بعد أنْ قسم الخواطر إلى محمود ومذموم قال : ثم إنك تعلم أنَّ هذه الخواطر حادثة ، ثم إنَّ كل حادث فلا بد له مِن مُحْدِث ، ومهما اختلفت الحوادث دلّ ذلك على اختلاف الأسباب ، هذا ما عُرِفَ مِنْ سُنة الله تعالى في ترتيب المسبّبات على الأسباب ، فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار ، وأَظْلَمَ سقفه بالدخان ، علمت أنَّ سبب السواد غير سبب الاستنارة . وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان ، فسبب الخاطر الدّاعي إلى الخير يسمى مَلَكاً ،

وسبب الخاطر الدّاعي إلى الشر يُسمّى شيطاناً ، واللطف الذي يتهيّـأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمّى توقيفاً ، والذي يتهيّـأ به لقبـول الشر يسمّى إغـواء وخذلانـاً . فإنَّ المعاني المختلفة تفتـقر إلى أسامي مختلفـة .

﴿ **وَعَنْ أُبَـيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ : إِنَّ لِلْوُضوءِ شَيْطاناً يُقالُ لَـهُ : الوَلَـهانُ ، فَاتَّقوا وَسْواسَ الماءِ** ﴾ (١) .

قال المباركفوري : قوله : " **إنَّ للوضوء شيطاناً** " أي

---

١) رواه الترمذي وقال : حديث غريب ولـيس إسـناده بـالقوي والصحيح عند أهل الحديث ؛ لأنـّا لا نعلـم أحـداً أسـنده غـير خارجة ، وخارجة ليس بـالقوي عنـد أصـحابنا ، وضـعّفه ابـن المبارك . قال : وقد روي هذا الحديث مِنْ غير وجه عن الحسن . ورواه أيضاً ابن ماجة ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، وابن خزيمـة في صـحيحه ، والبيهقـي في سـننه ، والطيالـسي في مسنده ، وأبو نعيم في المعرفة ، والمقدسي في المختارة .

للوسوسة فيها . " **يقال له : الوَلَـهان** " بفتحتين ، مصدر وَلَـهَ يولـه ولـهاناً ، وهو ذهاب العقل والتحـيّر مِنْ شدة الوجد وغاية العشق . سُمِّيَ به شيطان الوضوء إمّـا لشدة حرصه على طلب الوسوسة في الوضوء ، وإمّـا لإلقائـه الناس بالوسوسة في مهواة الحيرة حتى يُرى صاحبه حيران ذاهب العقل لا يَدْري كيف يلعب به الشيطان ، ولم يعلم هل وصل الماء إلى العضو أم لا ؟ وكم مرة غَسَله ؟ فهو بمعنى اسم الفاعل ، أو باقٍ على مصدريّـتـه للمبالغـة كرجل عدل ، قاله القاري . " **فاتّقوا وسواس المـاء** " ، قال الطيبي : أي وسواسه ، هل وصل الماء إلى أعضاء الوضوء أم لا ؟ وهل غَسَلَ مرتين أو مرة ؟ وهل هو طاهر أو نجس ؟ أو بلغ قلّـتين أو لا ؟ وقال ابن الملك وتَبِعَه ابن حجر: أي وسواس الولـهان ، وَضَعَ الماءَ موضع ضميره مبالغةً في كمـال الوسواس في شأن المـاء ،

أو لشدة ملازمتـه له ، كذا في المرقـاة .

قال : والحديث يدل على كراهية الإسراف في الماء للوضوء ، وقد أجمع العلمـاء على النهي عن الإسراف في المـاء ولو على شاطئ النهر .

﴿ وَعَنِ ابْنِ عَباسٍ قالَ : قالَ رَسولُ الله ﷺ : الشَّيْطانُ جاثِمٌ عَلى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ، فَإِذا ذَكَـرَ اللهَ خَنَسَ ، وَإِذا غَفلَ وَسْوَسَ ﴾ (١) .

وله شاهد مِنْ حديث أنس مرفوعاً بلفظ : **﴿ إِنَّ الشَّيْطانَ واضِعٌ خَطْمَهُ عَلى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ ، فَإِنْ ذَكَـرَ اللهَ خَنَسَ ،**

---

١) رواه البخاري تعليقاً بلا ذِكْـر سـند ، ورواه ابـن أبي شـيبة في مصنفه مرفوعاً .

وذكره الجزري في الحصن بلفظ : " ما مِنْ آدمي إلّا ولقلبه بيتان : في أحدهما المـلَك ، وفي الآخر الـشيطان. فـإذا ذَكَـرَ الله خَـنَسَ ، وإذا لم يذكر الله وَضَعَ الشيطان منقاره في قلبه ووسوس له " .

وَإِنْ نَسِيَ الْتَـقَمَ قَلْبَـهُ ، فَذَلِكَ الوَسْواسُ الخَنّاسُ ﴾[١] .

قال في المرقاة : فيه إيمـاء إلى أنَّ الغفلة سبب الوسوسة لا العكس على ما هو المشهور عند العامة .

وهذه الأحاديث تؤيّد ما حُكِـيَ عن بعض العارفين أنه سأل الله أنْ يكشف له عن كيفية وسوسة الشيطان للقلب ، فرآه جاثمـاً تحـت غضروف الكتـف الأيسـر ، كالبعوض له خرطوم طويل يدسّه ثم إلى أنْ يصل القلب ، فإنْ رآه ذاكراً خنس وكفّ عنه ، أو غافلاً مـدّ خرطومـه إليه وألقى فيه مِنْ جنايتـه ما أراد الله ، ثم لا يزال كذلك إلى أنْ لا يبقى في القلب خير قط .

ورُوِيَ عن عمر بن عبد العزيز أنَّ رجلاً سَـأَلَ ربَّـه أنْ يريه موضع الشيطان مِنْ قلب ابن آدم ، فرأى في النوم

---

١) أخرجه البيهقي في الشعب ، وأبو يعلى في مسنده ، وأبـو نعـيم في الحلية ، وابن أبي الدنيا في المكائـد ، والطبراني في الدعاء .

جسد رجل شبه البلور يُرى داخله مِنْ خارجه ، ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر ، بين منكبه وأذنه ، له خرطوم طويل دقيق قد أدخله مِنْ منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، فإذا ذَكَـرَ الله تعالى خنس .

وقال المعتمر بن سليمـان عن أبيه : ذُكِرَ لي أنَّ الشيطان الوَسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح ، فإذا ذَكَـرَ الله خنس .

وقال الإمام الغزالي في الإحياء : اعلم أنَّ العلمـاء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق : فقالت فرقة : الوسوسة تنقطع بذِكْر الله ﷻ ؛ لأنه ﷺ قال : فإذا ذكر الله خنس ، والخنس هو السكوت ، فكأنه يسكت . وقالت فرقة : لا ينعدم أَصْله ولكن يجـري في القلب ولا يكون له أثـر ؛ لأنَّ القلب إذا صار مستوعباً بالذِّكْر كان محجوباً

عن التأثّر بالوسوسة ، كالمشغول بهمه فإنه قد يتكلّم ولا يفهم وإنْ كان الصوت يمرّ على سَمْعه . وقالت فرقة : لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضاً ، ولكنْ تسقط غَلَبتها للقلب ، فكأنه يوسوس مِنْ بُعْدٍ وعلى ضَعْفٍ . وقالت فرقة : ينعدم عند الذِّكْر في لحظة وينعدم الذِّكْر في لحظة ، ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يُظنّ لتقاربهما أنها متساوقة . واستدلّ هؤلاء بأنَّ الخنس قد ورد ، ونحن نشاهد الوسوسة مع الذِّكْر ، ولا وجه له إلّا هذا . وقالت فرقة : الوسوسة والذِّكْر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقاً لا ينقطع ، وكما أنَّ الإنسان قد يَرى بعينيه شيئين في حالة واحدة ، فكذلك القلب قد يكون مجرىً لشيئين ، فقد قال ﷺ : "ما مِنْ عبد إلّا وله أربعة أعين : عينان في رأسه يُبْصِرُ بهما أَمْرَ دنياه ، وعينان في قلبه يُبْصِر بهما أَمْرَ دينه "[1] ،

---

[1]) كذا ذكره الغزالي ولم نجد له إسناداً ، لكن رواه أبو نعيم في الحلية والذهبي في السير عن شيخ أهل الشام خالد بن معدان .

وإلى هذا ذهب المحاسبي . والصحيح عندنا أنَّ كل هذه المذاهب صحيحة ، ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس ، وإنما نَظَر كلُّ واحد منهم إلى صنف واحد مِنَ الوسواس فأَخبر عنه .

ثم قال : والوسواس أصناف :

الأول : أنْ يكون مِنْ جهة التلبيس بالحق ، فيقول للإنسان : تترك التنعّم باللّذات ؟ فإنَّ العمر طويل ، والصبر عن الشهوات طول العمر ألَمه عظيم . فعند هذا إذا ذَكَرَ العبدُ عظيمَ حقِّ الله تعالى ، وعظيم ثوابه وعقابه ، وقال لنفسه : الصبر عن الشهوات شديد ، ولكنَّ الصبر على النار أشدّ منه ، ولا بُدَّ مِنْ أحدهما . فإذا ذَكَر العبد وَعْدَ الله تعالى ووَعيده ، وجدّد إيمانه ويقينه ، خنس الشيطان وهرب . وكذلك يُوسوس إليه بالعُجب بعمله فيقول : أيّ عبد يَعرف الله كما تعرفه ، ويعبده

كمـا تعبده ؟ فمـا أعظم مكانك عند الله تعالى ؟ فيتذكّـر العبد حينئذ أنَّ معرفته وقلبه وأعضاءه التي بها عمله وعِلْمه ، كل ذلك مِنْ خلق الله تعالى ، فمِنْ أين يعجب به ؟ فيخنس الشيطان . فهذا نوعٌ مِنَ الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمـان والمعرفة .

الصنـف الثـاني : أنْ يكون وَسواسـه بتحريك الشـهوة وهيجانها، وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقيناً أنه معصية، وإلى ما يظنه بغالب الظن. فإنْ عَلِمَه يقيناً خَنَسَ الشيطان عن تهييجٍ يؤثر في تحريك الشهوة ، ولم يخنس عن التهييـج وإنْ كان مظنوناً ، فربمـا يبقى مؤثّراً بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دَفْعـه ، فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبـة .

الصنف الثالث أنْ تكون وسوسة بمجرّد الخواطر وتذكّر الأحوال الغالبة ، والتفكّر في غير الصلاة مثلاً ، فإذا أقبل

على الذِّكْر تصوّر أنْ يندفع ساعة ويعود ، ويندفع ويعود ، فيتعاقب الذِّكْر والوسوسة ، ويتصوّر أنْ يتساوقا جميعاً حتى يكون الفهم مشتملاً على فهم معنى القراءة . وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين مِنَ القلب، وبعيد جداً أنْ يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر، ولكنه ليس محالاً ، إذ قال ﷺ : " مَنْ صلّى ركعتين لم يُحدّث فيهما نفسَه بشيءٍ مِنْ أَمْر الدنيا غُفِرَ له ما تقدّم مِن ذنبه " (١) . فلولا أنه مُتَصَوَّر لَما ذَكَره .

﴿ وَعَنِ ابْنِ عَباسٍ قالَ : قالَ رَسولُ الله ﷺ لَمّا سُئِلَ عَنِ الوَسْوَسَةِ : الحَمْدُ لله ، إنَّ الشَّيْطانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضي هَذِهِ ، وَلَكِنْ قَدْ رَضِيَ مِنْكُمُ المُحَقَّراتِ مِنْ

---

١) رواه البخاري ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وأحمد في مسنده ، وأبو عوانة في مستخرجه ، وأبو نعيم في المسند ، والبزار.

أَعْمـالِكُمْ ﴾ [١] .

قال الشوكاني : يدلّ على أنَّ مجرد عدم تأثير الشيطان في المؤمنين بشيءٍ مِنَ الإغواء والتَّسْويل إلّا بمجرد الوسوسة التي هي خاطر مِنْ خواطر القلب المغفورة ، مِنَ النِّعَم التي أنعم الله على عباده ؛ ولهذا حمد اللهَ النبيُّ ﷺ على ذلك .

فهذه الآيات والأحاديث تُبـيّن مدى حرص الشيطان على إغواء بني آدم ، وصَدِّهم عن عبادة ربهم ، وذلك عن طريق الوساوس التي يلقيها في صدورهم .

---

[١] أخرجه الطيالسي في مسنده .

وللبيهقي في شعبه والطبراني في الكبير عن معاذ بـن جبـل قـال : " قلتُ : يـا رسـول الله ، والـذي بعثـك بـالحق إنـه لَيعـرض في صدري الشيء لَأَنْ أكون حـممة أحـبّ إليّ مِـنْ أنْ أتكلّـم بـه ؟ فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله ، إنَّ الشيطان قد أَيِسَ مِنْ أنْ يُعْبَدَ بأرضي هذه ، ولكنه قد رضي بالمحقّرات مِنْ أعمـالكم " .

وبيّنت طريق النجـاة مِنْ هذه الوساوس الشيطانيـة ، أجارني الله وإيّـاكم منها .

محل الوسوسة الصدر :

محلّ الوسوسة ومستقرّه في ضوء الشريعة هو الصدر الذي هو مدخلٌ إلى القلب ، فمنه تَدخل الواردات عليه فتجتمع في الصدر ، ثم تَلِـجُ في القلب ، فهو بمنزلة الدهليز ، ومِنَ القلب تَخـرج الإرادات والأوامر إلى الصدر ، ثم تتفرّق على الجنود وهي الجوارح : كالنظر ، والسمع ، واللسان ، واليدين .

فالشيطان يَدخل ساحة القلب وبيتـه فيلقي ما يريد إلقاءَه إلى القلب ، فهو يوسوس في الصدر ووسوستُه واصلة إلى القلب ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [طه: ١٢٠] ولم يقل : فيـه ، والله أعلم .

وقد ورد في الحديث : " إنَّ الشيطان واضعٌ خطمه على قلب ابن آدم ، فإنْ ذَكَرَ الله خنس ، وإنْ نَسِيَ الله تعالى الْتَقَمَ قلبـه " [١] .

وقال الشنـقيطي في (أضواء البيـان) : والصدر محـل الوسوسـة لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٥] ، وهذا وإنْ كان وجيهاً إلّا أنَّ محـل الوسوسة أيضاً هو القلب والله أعلم .

مصادر الوسواس ثلاثة :

الوَسواس الذي يُصيب الإنسان ليس كله على درجة واحدة مِنْ حيث المصدر والأثر ، فالوَسواس له ثلاثة مصادر: النفس وهي الأمّـارة بالسوء ، وشياطين الجن ، وشياطين الإنس .

---

١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المكائـد ، انظر ص ٧٧ .

قال تعالى في بيان المصدر الأول وهي النفس : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق] .

وقال تعالى في بيان المصدر الثاني وهم شياطين الجن : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه] .

وقال تعالى في بيان المصدر الثالث وهم شياطين الإنس : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس] .

فوسوسة الشيطان تزول بالاستعاذة .

ووسوسة النفس تزول أيضاً بالاستعاذة ، وبتقوية الصلة بين العبد وربه بفِعْل الطاعات وتَرْك المنكرات .

وقد ذَكَرَ أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس

والشيطان فقال: ما كَرِهَتْه نفسُك لنفسك فهو مِنَ الشيطان فاسْـتَعِذْ بالله منه ، وما أحبَّـتْـه نفسُك لنفسك فهو مِنْ نفسك فانْـهَها عنه . أي أنَّ النفس غالباً توسوس فيمـا يتعلّق بالشهوات التي يرغب فيها الناس عادة .

وذَكَر بعض العلمـاء فرقاً آخر مهمـاً، وهو أنَّ وسوسة الشيطان هي بتزيين المعصية حتى يقع فيها المسلم ، فإنْ عجز الشيطان انتقل إلى معصية أخرى ، فإنْ عجز إلى ثالثة ... وهكذا ، فهو لا يُهِمّه الوقوع في معصية معيّنة بِقَدْر ما يهمّه أنْ يعصي هذا المسلم ربَّه ، يستوي في هذا فِعْل المنهي عنه وتَـرْك الواجب ، فكلها معاصٍ . وأمّـا وسوسة النفس فهي التي تحثّ صاحبها على معصيةٍ بعينها ، وتُـكَرِّر الطلب فيها .

فمثلاً : إذا أُذِّنَ للصلاة فإنه يُغريه ألّا يقوم إلى الصلاة ، وإنمـا يؤجّلها حتى ينتهي الفيلم الذي يشاهده على

التلفاز ، فإذا انتهى الفيلم يُذَكِّره بأعمـال يؤدّيها ، كأنْ يتّصل بصديق له ، أو يتناول العَشاء أولاً ، أو يقوم بزيارة كان قد نَسِـيَها ... إلى غير ذلك مِنْ أفاعيـل الشيطان . وإنْ كان الإنسان تاجراً فإنه يخوّفه مِن أنه إذا قام للصلاة فستضيع منه صفقات وأربـاح . وهكذا يظـل ينقلـه مِنْ مشكلة إلى أخرى حتى يضيع وقت الصلاة ، أو ينصرف عنها بالتدريج. فإنْ فشل في ذلك فإنه يوسوس له في وضوئه وصلاته ، فيقول له : إنك لم تُحسن الوضوء فأَعِدْه ، ويظل يشكّـكه في وضوئه حتى يعيده مرات ومرات ، ثم بعد ذلك يشكّـكه في صلاته حتى يعيدها مرات ومرات ، ويدخل الشكّ في نفس الإنسان فلا يعرف كم صلّى ، ولا يعرف هل أَحْسَنَ الوضوء أم لا ؟!

والمسلم لا يؤاخذ على وساوس النفس والشيطان مـا لـم يتكلّم أو يعمل بها ، وهو مأمور بمدافعتها ، فإذا

مـا تهاون في مدافعتها واسترسل معها ، فإنه قد يؤاخذ على هذا التهاون .

أسباب الوسوسة :

كثيرٌ مِنَ الناس مِـمَّنْ يعاني مِنْ داء الوسوسة قد ابْتُلِـيَ به نتيجة البُـعْد عن منهج الكتاب والسُّنة ، واقتراف المعاصي ، وحب الشهوات ، والغرق في الدنيا وملذّاتها .

قال أبو عمر والبخاري رحمهمـا الله : أَصْلُ الوسوسة ونتيجتها مِنْ عشرة أشياء : أولها الحرص ، فقابِلْه بالتوكيل والقناعة . والثاني الأمل ، فاكْسِـرْه بمفاجأة الأَجَل . والثالث التمتّع بشهوات الدنيا ، فقابِلْـه بزوال النعمة وطول الحساب . والرابع الحسد ، فاكْسِرْه برؤية العدل . والخامس البلاء ، فاكْسِرْه برؤية المِنّـة والعوافي . والسادس الكِـبْر ، فاكْسِرْه بالتواضع . والسابع الاستخفاف بحرمة

المؤمنين ، فاكْسِرْه بتعظيمهم واحترامهم . والثامن حب الدنيا والمحمدة ، فاكْسِرْه بالإخلاص . والتاسع طلب العلوّ والرفعة ، فاكْسِرْه بالخشوع والذِّلّة . والعاشر المنع والبخل ، فاكْسِرْه بالجود والسخاء .

ومِمّا ذَكَرَ العلماء مِنْ أسباب الوسوسة :

١- قِلّة العلم :

قال الإمام الذهبي : مَنْ مَرِضَ قلبه بشكوك ووساوس لا تزول إلّا بسؤالِ أهل العلم ، فليتعلّم مِنَ الحق ما يَدفع ذلك عنه ولا يمعن .

فالعلم يُزيل أيَّ شيء يَرِدُ على الإنسان ويخطر بباله ، والجهل يُورِدُ على الإنسان ما يضرّه ولا ينفع .

٢- ضَعْف الإيمان :

وهذا ينتج عن أمورٍ كثيرة مِنْ قِلّة الأعمال الصالحة ، وكثرة المعاصي . فإنَّ الشيطان يتسلّط على أهل المعاصي

بخلاف قوي الإيمـان ، فإنَّ الشيطان يَفْرق منه وليس له عليه سبيل .

٣- عدم الاتّبـاع :

وذلك إمّـا بزيادةٍ وغُلُـوٍّ ، وإمّـا بإنقاصٍ وتفريط ، وكلاهما مذموم .

٤- الغفلة عن ذِكْر الله تعالى :

فإنَّ الذِّكْر يطرد الشيطان ، ولا يجعل له منفذاً على أحدٍ مِنَ البشر . فإذا تَـرَكَ الذِّكْر جاء الشيطان بِخَيْـله ورَجلِه فدَخَلَ إلى قلب الإنسان وفِكْره ، فشوّش عليه ووسوس له .

٥- الاسترسال مع الهواجيس :

فإنَّ الهواجيس وكثرة التفكير التي لا يتحقّق معها مطلوب ، ولا تحصل منها فائدة ، تُسَبِّب الوساوس للإنسان ، وتُسَهِّل طريق الشيطان له .

٦ – عدم مخالطة الناس :

لأنَّ الشيطان مِنَ الواحد أقرب ، فيسهل تمكّنـه منه والسيطرة على إفساده وإغوائه .

٧- مجالسة الأشرار :

فإنها سُمٌّ قاتل للروح والقلب معاً ، حيث الغضب إذا نَـزَلَ على الأشرار فإنه لا يختصّ بهم ، بل سيصيب مَنْ جالسهم .

أنواع الوسوسة :

١ – الوسوسة في العقيدة .

كمـا في الحديث : " يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول : مَنْ خلق كذا ؟ مَنْ خلق كذا ؟ حتى يقول : مَن خلق ربك ؟ فإذا بَلَغـه ذلك فليستعذ بالله ولينتـه "[1] .

---

[1]) انظر الحديث ص ٤٧ .

٢- الوسوسة في النيـة واستحضارها .

مِنْ ذلك يقول الإمام الغزالي في الإحياء : وإنْ تَـمَّ تكبيرةَ الإحرام فيكون في قلبه بعض التردّد في صحة نيّـته ، ويغترّون بذلك ويظنون أنهم إذا أَتْعَبوا أنفسهم في تصحيح النيّـة ، وتمـيّزوا عن العامّـة بهذا الجهد والاحتياط ، فهم على خيرٍ عند ربهم !

٣- الوسوسة في التطهّر عند قضاء الحاجة .

شكا إلى الإمام أحمد بعضُ أصحابه أنه يجد البلل بعد الوضوء ، فأَمَـرَه أنْ ينضح فرجه إذا بال وقال : ولا تجعل ذلك مِنْ همتك والْـهَ عنـه .

٤- الوسوسة في الوضوء والغُسل .

قال النبيﷺ : " إنَّ للوضوء شيطاناً يقال له : الولَـهان، فاتّـقوا وسواس المـاء " [1] .

[1]) انظر الحديث ص ٧٥ .

وروى ابن أبي الدنيا بسنده إلى الحسن قال : شيطان الوضوء يُدعى وَلَـهان ، يضحك بالناس في الوضوء .

وكان طاوس يقول : هو أشد الشياطين .

وفي كتاب الشافي لأبي بكر بن عبد العزيز مِنْ حديث أم سعد قالت : قال رسول الله ﷺ : " يجزئ مِنَ الوضوء مُـدٌّ ، والغُسْـلِ صاعٌ . وسيأتي قومٌ يَسْـتَقِلّون ذلك ، فأولئك خلاف أهل سنتـي ، والآخذ بسنتـي معي في حظيرة القدس مُتَـنَـزّه أهل الجنـة " .

وحالهم في هذا الباب أكثر شيوعاً وانتشاراً بين الموسوَسين ، والشيطان يأتي أكثر الناس مِنْ هذا الباب لقِلّـة العلم بأحكامه وكثرة الجهل ، وخاصة في نطاق النيّـة في الطهارة ، فتَجِدُ الرجل منهم يجاهد نفسه باستحضار النيّـة وهذا مِنْ جهله ، وإلّا فالنيّـة لا تحتاج لكل هذا الاستحضار ، بل كل ما في الأمر أنه بمجرد

ما يقصد الشخص عملاً فهو ناويه . وتجرّه هذه المجاهدة إلى التلفّظ بالنيّة وهو يعقدها ويشكّ في حصولها ، هل حصلت أم لا ؟

وقصص الموسوَسين عجيبة ومحزنة في هذا الباب :

يُروى أنَّ أحدهم جاء إلى مجلس الفقيه ابن عقيل، فلمّا جلس قال له: إني أَنغمس في الماء مرات كثيرة ، ومع ذلك أشكّ هل تطهّرتُ أم لا ! فما رأيك في ذلك ؟ فقال ابن عقيل : اذْهَبْ فقد سَقَطَتْ عنك الصلاة ، فتعجّب الرجل وقال له : وكيف ذلك ؟ فقال ابن عقيل : لأنَّ النبيﷺ قال: " رُفِعَ القلم عن ثلاثة : المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ ، والصبي حتى يبلغ " [١] ، ومَنْ

---

١) روي مِنْ حديث عائشة وعلي بن أبي طالب وعددٍ من الصحابة بألفاظ ووجوه مختلفة . رواه الترمذي ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأحمد في مسنده ، وابن خزيمة في ==

ينغمس في المـاء مراراً مِثْلك ويشكّ هل اغتسل أم لا فهو بلا شك مجنـون .

وقال أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد : كنت مُبْتـلىً بالوضوء ، فنزلتُ دجلة أتوضّأ ، فسمعتُ هاتفاً يقول : يا أسود ، يحيى عن سعيد : الوضوء ثلاث ، ما كان أكثر لم يُرفع . فالتفتُّ فلم أرَ أحداً .

وقال عبد الله بن أحمد : قلتُ لأبي : إني لَأُكْثِرُ الوضوء ، فنهاني عن ذلك وقال : يا بني ، يقال : إنَّ للوضوء شيطاناً يقال له : الولَـهان . قال لي ذلك غير مرة ينهاني عن صَبِّ المـاء ، وقال لي : أَقْلِـلْ مِنْ هذا المـاء يا بنـي .

وقال إسحاق بن منصور: قلتُ لأحمد : نزيد على ثلاث في الوضوء ؟ فقال : لا والله إلّا رجل مبتلى .

صـحيحه ، وابـن حبـان ، والـدارمي في سـننه ، والبيهقـي ، والطيالـسي في مـسنده ، وإسـحاق بـن راهويـه ، وأبـو يعـلى ، وأبو نعيم في الحلية ، والطبراني ... وغيرهم .

٥- الوسوسة في انتقاض الطهارة .

قال النبي ﷺ : " إذا جاء أحدَكم الشيطانُ في صلاته فقال : إنك قد أحدثتَ ، فليقل : كذبتَ ، ما لم يجد ريحاً بأنفه أو يسمع صوتاً بأُذنـه " [١] .

٦- الوسوسة في الصلاة .

كمـا في حديث عثمـان بن أبي العاص أنه أتى النبي ﷺ فقال : " يا رسول الله ، إنَّ الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يَلْبِسها عليّ ؟ فقال رسول الله ﷺ : ذاك شيطان يقال له : خنزب ، فإذا أحسستَه فتعوّذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً " [٢] .

قال الإمـام أبو بكر بن العربي : إنَّ الله تعالى سـلّط الشـيطان على الإنسان في إفسـاد صلاته عليـه قـولاً

---

١) انظر الحديث ص ٤٤ .

٢) انظر الحديث ص ٦٦ .

بالوسوسة ، ودواؤها الذِّكْـر .

وقال الإمام الغزالي: وتأمّـل أنَّ منتهى ذِكْرك وعبادتك الصلاة ، فراقِبْ قلبك إذا كنتَ في صلاتك كيف يُجاذِبه الشيطان إلى الأسـواق ، وحساب العالـمين ، وجواب المعاندين ؟ وكيف يمرّ بك في أودية الدنيا ومهالكها ، حتى إنك لا تَذْكُر ما قد نَسِيتَـه مِنْ فضول الدنيا إلّا في صلاتك ، ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلّا إذا صَلَّيْتَ . فالصلاة محكّ القلوب ، فيها يظهر محاسنها ومساويها .

ومِن أصناف الوسوسة في الصلاة :

- الوسوسة في التكبير : قال الإمام الغزالي في الإحياء : ولربمـا رَفَعَ صوته بذلك فآذى سامعيه ، وأَغْرى الناسَ بذَمِّـه والوقيعة فيـه .

- والوسوسة في مخارج الحروف : كمَنْ يُعيد ويزيد في تكبـيرة الإحرام ليتأكّـد مِنْ نُطْـقها في الصلاة ،

أو يتوسوس في إخراج الحرف حتى يكرّره مراراً .

قال بعضهم : قد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف ، فتراه يقول : الحمد الحمد ، فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة . وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد في إخراج ضاد المغضوب ، قال : ولقد رأيت مَنْ يُخرج بصاقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده . والمراد تحقيق الحرف حسب ، وإبليس يُخْرِجُ هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق ، ويُشْغِلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة ، وكل هذه الوساوس مِنْ إبليس .

- ومِنْ أصناف الوَسواس ما يُفْسِدُ الصلاة : مِثْل تكرير بعض الكلمة ، كقوله في التحيات : ات ات ، التحي التحي . وفي السلام : أس أس ، وقوله في التكبير : أككككبر ... ونحو ذلك . فهذا الظاهر بطلان الصلاة به ، وربما كان إماماً فأفسد صلاة المأمومين ، وصارت

الصلاةُ التي هي أكبر الطاعات أعظمَ إبعاداً له عن الله مِنَ الكبائر . وما لم تَبْطُلْ به الصلاة مِنْ ذلك فمكروهٌ وعُدول عن السُّنـة .

- وقال بعض العلمـاء : وربمـا شَغَلَه بوسواسه حتى تفوته الجمـاعة ، وربمـا فاته الوقت ويشغله بوسوسته في النيّـة حتى تفوته التكبـيرة الأولى ، وربمـا فـوّتَ عليه ركعة أو أكثر .

وإليك نبـذة مِنْ ألفاظ الموسوَسين في هذا الباب :

قال بعض العلمـاء : حكى لي بعضُ مَنْ أَثِـقُ به عن موسوَس عظيم رأيتُـه أنا يكرّر عَقْد النيّـة مراراً عديدة ، فيشقّ على المأمومين مشقة كبيرة . فعرض له أنْ حَلَفَ بالطلاق أنه لا يزيد على تلك المرة ، فلم يَدَعْه إبليس حتى زاد ، ففرّق بينه وبين امرأتـه . فأصابه لذلك غمٌّ شديد ، وأقاما متفرِّقَـيْن دهراً طويلاً حتى تزوّجت تلك

المرأة برجلٍ آخر وجاءه منها ولد ، ثم إنه حَنَثَ في يمينٍ حَلَفَها ففُـرِّقَ بينهمـا ، ورُدَّتْ إلى الأول بعد أنْ كاد يتلف لمـفارقتها .

قال : وبَلَغَني عن آخر أنه كان شديد التنطّع في التلفّظ بالنيّـة والتقعّر في ذلك ، فاشتدّ به التنطّع والتقعّر يوماً إلى أنْ قال : أُصَلّي أُصَلّي مراراً ، صلاة كذا وكذا ، وأراد أنْ يقول : أداء ، فأَعْجَمَ الدال وقال : أذاء لله ، فقطع الصلاة رجل إلى جانبه فقال : ولرسوله وملائكته وجماعة المصلين .

قال : وقال لي إنسان منهم : قد عجزتُ عن قول : السلام عليكم ؟ فقلتُ له : قُـلْ مِثْـل ما قد قلتَ الآن وقد استرحتَ .

٧- الوسوسة في الأكل والشرب .

بأنْ يكثر مِنَ التحرّي في هذا الأمر ، فإنَّ ذلك مِنَ

الوسواس .

٨- الوسوسة في طهارة الثياب .

قال زين العابدين يوماً لابنه : يا بني ، اتَّـخِذْ لي ثوباً أَلْبَسُـه عند قضاء الحاجة ، فإني رأيتُ الذباب يسقط على الشيء ثم يقع على الثوب . ثم انتبـه فقال : ما كان للنبي ﷺ وأصحابه إلّا ثوب واحد ، فتَـرَكـه .

وكان عمر رضي الله عنه يهمّ بالأمر ويعزم عليه ، فإذا قيل له : لم يفعله رسول الله ﷺ انتهى ، حتى إنه قال : لقد هممتُ أنْ أنهى عن لبس هذه الثياب ، فإنه قد بَلَغَني أنها تُصبغ ببول العجائـز . فقال له أُبـيّ : ما لك أنْ تَنهى ، فإنَّ رسول الله ﷺ قد لَبِسَها ولُبِسَتْ في زمانه ، ولو عَلِمَ الله أنَّ لبسها حرام لبيّنـه لرسوله ﷺ . فقال عمر : صدقتَ .

وهناك أنواع أخرى كثيرة تتعلّق بهذا البحث ، اقتصرتُ على ذلك تنويهاً لا غايةً في ذِكْرها ، فاحْرِصْ يا أخي

مِنَ الوَسواس ، فإنه أعدى وأضرّ ما يكون على المرء المسلم الصادق .

كيفية الوسوسة :

الشيطان يوسوس في قلوب بني آدم :

يجيب الإمام ابن عقيل عن كيفية الوسوسة فيقول : فإنْ قال لك قائل : كيف الوسوسة مِنْ إبليس ؟ وكيف وُصوله إلى القلب ؟ قُلْ : هو كلامٌ على ما قيل تَميل إليه النفوس والطبع . وقد قيل : يدخل في جسد ابن آدم لأنه جسم لطيف ويوسوس ، وهو أنه يُحدّث النفسَ بالأفكار الرديئة .

وقال الإمام الرازي في تفسيره الكبير : بناءً على ما وَرَدَ في الآثار ذَكَروا أنه يغوص في باطن الإنسان ، ويضع رأسه على حبة قلبه ويلقي إليه الوسوسة ، واحتجّوا

عليه بمـا رُوِيَ عن النبي ﷺ قال : " إنَّ الشيطان لَيجري مِن ابن آدم مجرى الدم ، ألَا فضيّـقوا مجاريه بالجوع " [١] .

وقال ﷺ : " لولا أنَّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لَنظروا إلى ملكوت السمـاوات " [٢] .

ومِنَ الناس مَن قال : هذه الأخبار لا بد مِن تأويلها ؛ لأنه يمتنع حملها على ظواهرها . واحتجّ عليه بوجوه :

---

١) ذكره الغزالي في الإحياء .

قال العراقي : متّفق عليه مِن حديث صفية دون قوله : " فضيّقوا مجاريه بالجوع " ، يعني فإنه مدرج مِن كلام بعض الصوفية .

٢) ذكره الغزالي في الإحياء ، وهذا المعنى هو الذي وَرَدَ في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ليلة أُسري به ، قال : " فلمّا نزلتُ إلى السماء الدنيا نظرتُ أسفل مني ، فإذا أنا برهج ودخان وأصوات ، فقلتُ : ما هذا يا جبرائيل ؟ قال : هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم أنْ لا يتفكّروا في ملكوت السماوات والأرض ، ولولا ذلك لَرأوا العجائب " .

الأول : أنَّ نفوذ الشياطين في بواطن الناس محال ؛ لأنه يلزم إمّـا اتساع تلك المجاري ، أو تداخل تلك الأجرام .

الثاني : أنَّ العداوة الشديدة حاصلة بينه وبين أهل الدِّين ، فلو قدر على هذا النفوذ فلم لا يخصّهم بمزيد الضرر ؟

الثالث : أنَّ الشيطان مخلوق مِنَ النار ، فلو دخل في داخل البدن لَصار كأنه نفذ النار في داخل البدن ، ومعلوم أنه لا يحـسّ بذلك .

الرابع : أنَّ الشياطين يحبون المعاصي وأنواع الكفر والفسق ، ثم إنّـا نتضرّع بأعظم الوجوه إليهم ليظهروا أنواع الفسق ، فلا نجد منه أثراً ولا فائدة ، وبالجملة فلا نرى لا مِنْ عداوتهم ضرراً ، ولا مِنْ صداقتهم نفعاً .

وأجاب مثبتو الشياطين عن السؤال الأول بأنَّ على القول بأنها نفوس مجردة فالسؤال زائل ، وعلى القول بأنها أجسام لطيفة كالضوء والهواء فالسؤال أيضاً زائل .

وعن الثاني : لا يبعد أنْ يقال : إنَّ الله وملائكته يمنعونهم عن إيذاء علمـاء البشر . وعن الثالث : أنه لَـمّـا جاز أنْ يقول الله تعالى لنار إبراهيم : ﴿ يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] ، فلِمَ لا يجوز مِثْله ههنا ؟ وعن الرابع أنَّ الشياطين مختارون ، ولعلّهم يفعلون بعض القبائح دون بعض .

وقال القاضي أبو يعلى : الوَسواس يحتمل أنْ يكون كلاماً خفياً يدركه القلب ، ويمكن أنْ يكون هو الذي يقع عند الفكر ويكون منه مَسٌّ وسلوك ، ودخول في أجزاء الجسد .

وقال الغزالي في الإحياء : القلب مِثْل قبة لها أبواب تنصب إليها الأحوال مِنْ كل باب ، أو مِثْل هدف تُرمى إليه السهام مِنْ كل جانب ، أو مِثْل مرآة منصوبة تجتـاز عليها أصناف الصور المختلفة فتـتراءى فيها صورة بعد

صورة ، أو مِثْل حوض تنصب إليه مياه مختلفة مِن أنهار مفتوحة . واعلم أنَّ مداخل هذه الآثار المتجدّدة في القلب ساعة فساعة إمّـا مِنَ الظاهر كالحواس الخمس ، وإمّـا مِنَ البواطن كالخيال ، والشهوة ، والغضب ، والأخلاق المركبـة في مزاج الإنسان . فإنه إذا أدرك بالحواس شيئاً حَصَلَ منه أثـر في القلب ، وكذا إذا هاجت الشـهوة أو الغضب حَصَلَ مِن تلك الأحوال آثار في القلب . وأمّـا إذا منع عن الإدراكات الظاهرة ، فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى ، وينتـقل الخيال مِن شيء إلى شيء ، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب مِن حال إلى حال ، فالقلب دائمـاً في التغيّر والتأثّر مِنْ هذه الأسباب .

وأَخَصُّ الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر ، وأعني بالخواطر ما يعرض فيه مِنَ الأفكار والأذكار ، وأعني بها إدراكاتٍ وعلوماً إمّـا على سبيل التجدّد ، وإمّـا على

سبيل التذكّر . وإنما تُسمّى خواطر مِنْ حيث أنها تخطر بالخيال بعد أنْ كان القلب غافلاً عنها ، فالخواطر هي المحركات للإرادات ، والإرادات محركة للأعضاء . ثم هذه الخواطر المحركة لهذه الإرادات تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر - أعني إلى ما يضرّ في العاقبة - ، وإلى ما ينفع - أعني ما ينفع في العاقبة - . فهما خاطران مختلفان ، فافتقرا إلى إِسْمَيْن مختلفين ، فالخاطر المحمود يُسمّى إلهاماً ، والمذموم يُسمّى وسواساً . ثم إنك تعلم أنَّ هذه الخواطر أحوال حادثة فلا بد لها مِنْ سبب ، والتسلسل محال ، فلا بد مِن انتهاء الكل إلى واجب الوجود .

قال : والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار المَلَك ، ولقبول آثار الشيطان ، صلاحاً متساوياً ليس يترجّح أحدهما على الآخر ، وإنما يترجّح أحد الجانبين باتّباع الهوى والإكباب على الشهوات ، أو الإعراض عنها

ومخالفتها . فإنِ اتّبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظَهَرَ تسلّط الشيطان بواسطة الهوى ، وصار القلب عش الشيطان ومعدنه ؛ لأنَّ الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه. وإنْ جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه ، وتشبّـه بأخلاق الملائكة ، صار قلبه مستقرّ الملائكة ومهبطهم . ولَـمّـا كان لا يخلو قلب عن شهوة ، وغضب ، وحرص ، وطمع ، وطول أمل ... إلى غير ذلك مِنْ صفات البشرية المتشعّبة عن الهوى ، لا جرم لم يَـخْلُ قلبٌ عن أنْ يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ؛ ولذلك قال ﷺ : " مـا مِنكم مِنْ أحد إلّا وله شيطان " [١] . وإنمـا كان هذا لأنَّ الشيطان لا يتصرّف إلّا بواسطة الشهوة ، فمَن أعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط إلّا حيث ينبغي ، وإلى الحد الذي ينبغي ، فشهوته لا تدعو إلى الشر ، فالشيطان

---

١) انظر الحديث ص ٦٨ .

المتدرّع بها لا يأمر إلّا بالخير . ومهما غلب على القلب ذِكْر الدنيا بمقتضيات الهوى ، وَجَدَ الشيطان مجالاً فوسوس . ومهما انصرف القلب إلى ذِكْر الله تعالى ، ارتحل الشيطان وضاق مجاله ، وأقبل المَلَك وأَلْهَمَ . والتطارد بين جندي الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أنْ ينفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويتمكّن ، ويكون اجتياز الثاني اختلاساً .

قال جابر بن عبيدة العدوي : شكوتُ إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري مِنَ الوسوسة فقال : إنما مَثَل ذلك مَثَل البيت الذي يمرّ به اللصوص ، فإنْ كان فيه شيء عالجوه ، وإلّا مضوا وتركوه .

يعني أنَّ القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ؛ ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الإسراء: ٦٥ ، الحجر: ٤٢] .

قال : وكمـا أنَّ الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه ، فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه ودمه ، ومحيطـة بالقلب مِن جميع جوانبه ؛ ولذلك قال ﷺ : " إنَّ الشيطان يجري مِن ابن آدم مجرى الدم ، فضيّـقوا مجاريه بالجوع" [١] . وذلك لأنَّ الجـوع يكسر الشهوة ، ومجـرى الشيطان الشـهوات .

ولأجل اكتناف الشهوات للقلب مِنْ جوانبه ، قال الله تعالى إخباراً عن إبليس : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف] .

وقال ﷺ : " إنَّ الشيطان قعد لابن آدم في طرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال له : أتُسلم وتترك دينك ودين

---

١) انظر الحديث ص ١٠٥ .

آبائك ؟ فعصاه فأسلم . ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : أتُهاجر وتدع أرضك ونساءك ؟ فعصاه فهاجر . ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : أتُجاهد وهو تَلَفُ النفس والمال ، فتُقاتل فتُقتل ، فتُنكح نساؤك وتُقسم مالك ؟ فعصاه فجاهد . قال النبي ﷺ : فمَنْ فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أنْ يدخله الجنة "[1] .

فذكر رسول الله ﷺ معنى الوسوسة ، وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يُقتل وتُنكح نساؤه ... وغير ذلك مِمّا يصرفه عن الجهاد ، وهذه الخواطر معلومة ، فإذاً الوسواس معلوم بالمشاهدة . وكلُّ خاطر فله سبب ويفتقر إلى إسمٍ يعرفه ، فاسم سببه الشيطان ولا يُتَصوّر أنْ ينفكّ عنه آدمي ، وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته .

هذا ملخص كلام الغزالي بعد حذف التطويلات منه .

---

[1]) انظر تخريج الحديث ص ١٥ .

حقيقة سلطان الشيطان :

قد أخبر الله تعالى عن إبليس أنه ليس له سلطـان على الذين آمنوا فقال : ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل] ، والسلطان سلطان الحجّة والبرهان ، وإبليس ليس له حجّة ولا برهان على مكائده ووسوسته ، إنمـا سلطانه بالإغواء والوسوسة .

هذا هو سلطانه كمـا فسّره حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهمـا ، وإنمـا سلطان إبليس على الذين يتولَّـوْنـه باتّبـاع الهوى والاستجابة لداعيـه ، والغفلة عن ذِكْـر الله .

فالمـقصود أنَّ حقيقة سلطـان إبليس إنمـا هي سلطة إغواء ونَـزْغ ، لا سلطة حجّة وبرهان ، وهذه السلطة سلطة ضعيفة في حقيقتها كمـا أخبر تعالى بقوله : ﴿ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦] .

وإدراك أنَّ هذه الوسوسة إنما هي كَيْد الشيطان ونزغاته ، هو بداية الطريق في صدّ هذا الكَيْد ودَفْعِه .

مِنْ حبائل إبليس :

الوسوسة هي مكيدة الشيطان ، فإنه يخلط الأمور ببعضها حتى ما يكاد يُتبيّن وجه الحق فيها ، إلّا لِمَنْ عَصَمه الله تعالى مِن كَيْده ووسوسته .

وإنَّ إدراك تسلّط الشيطان ونزغاته ووساوسه ، ومعرفة حقيقة الشيطان وطبيعته ، ليولّد عند المرء وَعْياً يُعينه على إدراك طبيعة النزغات الشيطانية ، والموقف الصحيح منها .

وإنَّ المتأمّل لآيات القرآن يجد شدة عنايته بالتحذير مِنْ مكيدة الشيطان وشركه أكثر مِنْ تحذيره مِنَ النفس والهوى ؛ لأنَّ شر النفس وفسادها ينشأ مِنْ وسوسته ،

فهي موضع شره ومحل طاعتـه .

وإنَّ الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهمّ بالخير أو يدخل فيـه ، فهو يشتد عليه حينئذ حتى يقطعه ، وكلّمـا كان العمل أنفع للعبد وأحبّ إلى الله تعالى ، كان اعتراض الشيطان له أكثر .

وكمـا جاء في المسند مِنْ حديث سبرة بن أبي الفاكه المتقدّم أنه سمع النبي ﷺ يقول : " إنَّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : أَتُسْلِمُ وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك ؟ فعصاه فأسلم . ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : أتُهاجر وتذر أرضك وسمـاءك ، وإنمـا مَثَل المهاجر كالفرس في الطِّوَل ؟ فعصاه وهاجر . ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : تقاتل فتُقتل فتُنكح المرأة ويُقسم المال ؟ قال : فعصاه فجاهد "(١) .

---

(١) انظر ص ١٥ وص ١١٢ .

فالشيطان للعبد المؤمن بالرصد والمرصاد مصداق قول الله تعالى فيه : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف] .

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ ﴾ [البقرة] .

قال الإمام الرازي : دلّت الآية على أنَّ الشيطان لا يأمر إلّا بالقبائح ؛ لأنه تعالى ذَكَرَه بكلمة : (إنما) وهي للحصر .

وقال بعض العارفين : إنَّ الشيطان قد يدعو إلى الخير لكنْ لغرضِ أنْ يجرّه منه إلى الشر ، وذلك يدل على أنواع : إمّا أنْ يجرّه مِنَ الأفضل إلى الفاضل ليتمكّن مِنْ أنْ يُخرجه مِنَ الفاضل إلى الشر ، وإمّا أنْ يجرّه مِنَ الفاضل الأسهل إلى الأفضل الأشقّ ؛ ليصير ازدياد

المشـقّة سبباً لحصول النفرة عن الطاعة بالكليـة .

وقال بعض العلمـاء : ولَـمّـا مَـنَّ الله الكريم بلطفه بالاطّـلاع على ما أَطْـلَعَ عليه مِنْ أمراض القلوب وأَدْوائها ، وما يَعرض لها مِنْ وساوس الشياطين أعدائها ، وما تُـثْمِرُ تلك الوسـاوس مِنَ الأعمـال ، وما يكتسب القلب بعدها مِنَ الأحوال ، فإنَّ العمل السيّء مصدره عن فساد قَصْد القلب ، ثم يعرض للقلب مِنْ فساد العمل قسوة ، فيزداد مرضاً على مرضه حتى يموت ويبقى لا حياة فيه ولا نور له . وكلُّ ذلك مِن انفعاله بوسوسة الشيطان ، وركونـه إلى عدوّه الذي لا يُفلح إلّا مَن جاهَـرَه بالعصيان .

وقال حكيمٌ مِنَ الحكمـاء : الشيطان يأتي ابن آدم مِنْ قِبَـل المعاصي ، فإنِ امتنع أتاه مِنْ وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة ، فإنْ أبى أَمَره بالتحرّج والشدة حتى يُـحَرِّمَ

ما ليس بحرام ، فإنْ أبى شكّكه في وضوئه وصلاته حتى يُخرجه عن العلم ، فإنْ أبى خفّف عليه أعمـال البِـرّ حتى يراه الناس صابراً عفيفاً ، فتميل قلوبهم إليه ، فيعجب بنفسه وبه يهلكه ، وعند ذلك يشتدّ إلحاحه ، فإنها آخر درجة ، ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنـة .

يُروى عن ثابت البناني قال : بَلَغنا أنَّ إبليس ظهر ليحيى ابن زكريا عليهمـا السلام ، فرأى عليه معاليق مِنْ كل شيء ، فقال يحيـى: يا إبليس ، ما هذه المعاليق التي أَرى عليك ؟ قال : هذه الشهوات التي أَصيد بهنّ ابن آدم ، قال: فهل لي فيها مِنْ شيء ؟ قال: ربمـا شَبِعْتَ فثَـقَّلْنـاك عن الصلاة ، وثَـقَّلنـاك عن الذِّكْر. قال : فهل غير ذلك؟ قال : لا والله ، قال : لله عليّ أنْ لا أملأ بطني مِنْ طعامٍ أبداً ، قال إبليس : ولله عليّ أنْ لا أنصح مسلمـاً أبداً .

وعن عبدالرحمن بن زياد قال: بينمـا موسى عليه السلام جالس

في بعض مجالسه ، إذْ أقبل عليه إبليس وعليه برنس له يتلوّن فيه ألواناً . فلمّـا دنا منه خَلَعَ البرنس فوضعه ، ثم أتاه وقال له : السلام عليك يا موسى ، فقال له : مَنْ أنت؟ قال : أنا إبليس ، فقال له موسى : فلا حيّـاك الله ، ما جاء بك ؟ قال : جئتُ لأُسَلِّمَ عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانك منه . فقال موسى : فمـا الذي رأيتُـه عليك ؟ قال : به أختطف قلوب بني آدم . قال موسى : فمـا الذي إذا صَنَعَه الإنسان اسْتَحْوَذْتَ عليه ؟ قال: إذا أَعْجَبَتْـه نفسه ، واسْتَـكْثَر عمله ، ونسي ذنوبه . وأُحذّرك مِنْ ثلاثٍ : لا تخلونّ بامرأة لا تحلّ لك قط ، فمـا خلا رجل بامرأةٍ لا تَحِلّ له إلّا كنتُ صاحبه دون أصحابي حتى أفتنـه بها . ولا تُعاهد الله عهداً إلّا وفَّـيْتَ به ، فإنـه ما عاهد اللهَ أحدٌ إلّا كنتُ صاحبه دون أصحابي حتى أَحُول بينه وبين الوفاء به . ولا تُخرجنّ صدقة إلّا أمضيتَها،

فإنه مَنْ أخرج صدقة فلم يُمْضِها إلّا كنتُ صاحبه دون أصحابي حتى أَحُول بينه وبين إخراجها . ثم ولّـى وهو يقول : يا وَيْلـه يا وَيْلـه يا وَيْلـه ، عَلِمَ موسى ما يُـحَـذِّر به بنـي آدم .

وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد ، أَينام الشيطان ؟ فتبسّم وقال : لو نام لاسترحنـا .

وقال الحسن بن صالح : إنَّ الشيطان لَيفتح للعبد تسعة وتسعين بابـاً مِنْ أبواب الخير ، يُريد به بابـاً مِنْ الشر .

وقال الغزالي : نعم ، ينبغي أنْ يعلم أنَّ الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعاً أنه داعٍ إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة، وإلى ما يعلم أنه داعٍ إلى الخير فلا يشكّ في كونه إلهاماً ، وإلى ما يتردّد فيه فلا يدري أنه مِنْ لَـمّة المـلَك أو مِنْ لَـمّة الشيطان . فإنَّ مِنْ مكايد الشيطان أنْ يعرض الشر في معرض الخير، والتمييز في ذلك غامض ، وأكثر العباد

به يهلكون . فإنَّ الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح ، فيُصَوِّر الشر بصورة الخير ؛ ولذلك رُوِيَ أنَّ إبليس لعنه الله تمثّل لعيسى بن مريم فقال له : قُلْ: لا إله إلّا الله ، فقال : كلمةُ حقٍّ ولا أقولها بقولك . لأنَّ له أيضاً تحت الخير تلبيسات ، وتلبيسات الشيطان مِنْ هذا الجنس لا تتناهى ، وبها يهلك العلمـاء والعبّاد والزهّاد ، والفقراء والأغنياء ، وأصناف الخلق مِـمَّنْ يكرهون ظاهر الشر ، ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة .

علاج الوسواس ودواؤه :

إنَّ علاج هذه الوساوس سهل يسير ، فمـا عليك إلّا الالتزام بأوامر النبي ﷺ مِنَ الانتهاء عن الاسترسال مع تلك الوساوس ، والإعراض عنها ، والاستعاذة ، والاشـتغال عنها بتعظيم الله تعالى وذِكْـره ودعائـه ،

والصلاة على النبي ﷺ .

قال بعض العلماء : وحماية القلب عن وسواس الشيطان واجبة ، وهي فرض عين على كل عبد مكلّف ، وما لا يُتوصّل إلى الواجب إلّا به فهو أيضاً واجب ، ولا يُتوصّل إلى دَفْع الشيطان إلّا بمعرفة مداخله ، فصارت معرفة مداخله واجبة .

ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة ، فمنها : الغضبُ ، والشهوةُ ، والحرصُ ، والحسدُ ، والشِّبَعُ مِنَ الطعام وإنْ كان حلالاً صافياً ، فإنَّ الشِّبع يُقَوّي الشهوات ، والشهوات أسلحة الشيطان . وحُبُّ التزيّن مِنَ الأثاث والثياب والدار ، والطمعُ في الناس ، والعجلةُ وتَرْك التثبّت في الأمور ، والدراهمُ والدنانير وسائر أصناف الأموال مِنَ العروض والدواب والعقار ، فإنَّ كل ما يزيد على قَدْرِ القوت والحاجة فهو مستقرّ

الشيطان . والبخلُ وخوف الفقر، وسوءُ الظن بالمسلمين ، والتوصّلُ والتعصّب للمذاهب والأهواء ، والحقدُ على الخصوم والنظـر إليهم بعين الازدراء والاسـتحقار ، وحَـمْلُ العوام الذين لم يمـارسوا العلم ولم يتبحّروا فيه على التفكّر في ذات الله تعالى وصفاته ، وفي أمورٍ لا يبلغها حد عقولهم حتى يشكّـكهم في أَصْل الدين .

فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ، ولو أردتُ استقصاءها جميعها لم أقدر عليه ، وفي هذا القدر ما ينبـّه على غيره ، فليس في الآدمي صفـة مذمومـة إلّا وهي سلاح الشيطان ومدخل مِنْ مداخله .

فإنْ قلتَ : فمـا العلاج في دَفْع الشيطان ؟ وهل يكفي في ذلك ذِكْر الله تعالى وقول الإنسان : لا حول ولا قوة إلّا بالله ؟ فاعلـم أنَّ علاج القلب في ذلك سَـدُّ هذه المـداخل بتطهير القلب مِنْ هذه الصفات المذمومة ،

وذلك مِـمّـا يطـول ذِكْـره .

وقال بعضهم : إنَّ القلب كالحصن المنيع ، له سور وله أبواب ، وفيه ثلم يسكنه العقل، والملائكة تتردّد إلى هذا الحصن ، وإلى جانبه رَبَض فيه الهوى ، والشياطين تختلف إلى ذلك الربض مِنْ غير مانع ، والحربُ قائم بين أهل الحصن وأهل الرَّبض ، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبورَ مِنْ بعض الثلم . فينبغي للحارس أنْ يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وُكِّـلَ بحفظه وجميع الثلم ، وأنْ لا يفتر عن الحراسة لحظة ، فإنَّ العدو ما يفتر أبداً . وهذا الحصن مستنيرٌ مشرقُ الإيمـان بذِكْر الله ، وفيه مرآة صقليـة يتراءى فيها صور كلُّ ما يمرّ بـه . فأول ما يفعله الشيطان في الرَّبض إكثار الدخان ، فتَسْوَدّ حيطان الحصن وتَصْدَأُ المرآة ، وكمـالُ الفِكْر يردّ الدخان ، وصقل الذِّكْر يجـلو المرآة .

وللعدو حملات ، فتارّة يحمل فيدخل الحصن ، فيكرّ عليه الحارس فيخرج ، وربما دَخَلَ فعاث ، وربما أقام لغفلة الحارس ، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان ، فتسودّ حيطان الحصن وتَصدأ المرآة ، فيمرّ الشيطان ولا يُدْرى به ، وربما جُرِحَ الحارس لغفلته ، وأُسِرَ واستخدم ، وأُقيم يَستنبط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته ، وربما صار كالفقيه في الشر .

ولا يُدفع الوسواس إلّا بأمورٍ منها :

١- مخالفة الشيطان والعِلْم بأنّه لا ينصح الإنسان أبداً وإنْ زعم النُّصْح ، فاحْذَرْه واحذر خطواته .

فإذا جاءك وأنت تُصَلّي فقال لك : أنت مراءٍ ، فلا تلتفت إليه وفَكِّرْ في معنى قراءتك .

٢- المجاهدة في دَفْعه والتلهّي عنه ، وقَطْع التفكير به والاسترسال مع حبائله ومكائده ، وخواطره وهواجسه .

فلا يجعله شغله الشاغل ؛ لأنه إنْ تمادى به تمكّن منه ، وهيهات حينها أنْ يزول إلّا إذا شاء الله ، فإذا دافعه وجاهده زال واضْمَحَلّ بإذن الله .

روى مالك عن القاسم بن محمد أنَّ رجلاً سأله فقال : إني أهمّ في صلاتي فيكبر ذلك عليّ ؟ فقال له : امْضِ في صلاتك ، فإنه لن يذهب عنك حتى تنصرف وأنت تقول : ما أتممتُ صلاتي .

وهذا أَصْلٌ عظيم لِدَفْع الوساوس وقَمْعِ هواجس الشيطان في سائر الطاعات .

يقول الغزالي في الإحياء : كيف يتم دَفْع الوساوس عنا قبل استفحالها ؟ أولاً ينبغي على العبد أنْ يشتغل بِدَفْع العدو عن نفسه وتحديد سلاحه ، لا بالسؤال عن أَصْله ونسبه ومسكنه . وسلاحُ الشيطان الهوى والشهوات ، وذلك كافٍ للعالَمين ، فأمّا معرفة ذاته وصفاته وحقيقته نعوذ بالله منه .

وهذه المجاهدة لا آخر لها إلّا الموت ، فإنه ما دام المرء حيّـاً فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبـه لا تنغلق .

٣- الالتزام بالكتاب والسُّنة علمـاً وعملاً ، والبعد عن طرق الضلال ، فإنَّ على كل طريق شيطاناً يدعو إليـه .

فيتّبع الإنسان ما جاءه مِن عند الله مِنْ عقائد وأقوال وعبادات وتشريعات ، ويترك ما نهـى عنـه .

وإنَّ ذلك يطرد الشيطان ويغيظه أعظم إغاظة ، روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا قَـرَأَ ابن آدم السجدة فسَجَدَ اعتزل الشيطان يبكي ، يقول : يا ويلي ، أُمِـرَ ابن آدم بالسجود فسَجَدَ فله الجنـة ، وأُمِرْتُ بالسجود فعَصَيْتُ فلي النـار "[1] .

---

[1]) رواه أيضاً ابن ماجة في سننه ، وأحمد في مسنده ، وابن خزيمـة في صحيحه ، وابن حبـان ، والبيهقـي في سـننه ، وأبـو عوانـة في مستخرجه ، وأبو نعيم في مسنده ... وغيرهم .

وعن الأعمش قال : حَدَّثَنا رجل كان يكلّم الجن فقالوا له : ليس علينا أشدّ مِمَّنْ يتّبع السُّنة ، وأمّا أصحاب الأهواء فإنّا نلعب بهم لعباً .

٤- معرفة أنَّ الحق فيما جاء فيه رسول الله ﷺ ، فيتّبعه في القول والفعل ، وذلك هو الهدي الذي ارتضاه الله لرسوله ﷺ ، ولنا فيه أسوة حسنة .

قال أبو محمد المقدسي في كتابه (ذم الوسواس) : أمّا بعد ، فإنَّ الله سبحانه جَعَلَ الشيطان عدواً للإنسان يقعد له الصراط المستقيم ، ويأتيه مِنْ كل جهة وسبيل ، كما أخبر الله تعالى عنه أنه قال : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف] . وحذّرنا الله ﷻ مِنْ متابعته ، وأَمَرَنا بمعاداته ومخالفته فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ ﴾ [فاطر: ٦] ، وقال :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧] . وأَخْبَرنا بما صَنَعَ بأبوينا تحذيراً لنا مِن طاعته ، وقَطْعاً للعذر في متابعته . وأَمَرنا الله ﷻ باتّباع صراطه المستقيم ، ونهانا عن اتّباع السبل فقال سبحانه : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ، وسبيلُ الله وصراطه المستقيم هو الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته . قال : فمَنِ اتّبع رسول الله ﷺ في قوله وفعله فهو على صراط الله المستقيم ، وهو مِمَّنْ يحبّه الله ويغفر له ذنوبه . ومَنْ خالفه في قوله أو فعله فهو مبتدع متّبع لسبيل الشيطان ، غير داخلٍ فيمَنْ وَعَدَ الله بالجنة والمغفرة والإحسان .

يروى عن ابن مسعود ﷺ قال : " خَطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه

وعن شماله ثم قال : هذه سُبُلٌ ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام] " [1] .

٥- دَفْع الوسواس بنور التقوى وغزارة العلم .

فطلب العلم الشرعي يمنع صاحبه مِنْ عملِ ما ليس بواردٍ ولا أَصْل له بالشرع ، ويكون الشيطان منه أبعد وأشدّ فرقاً وهرباً . وحال الموسوَس كلها جهل بالشريعة ، فلو كانت عن عِلْمٍ لَما فعل ما فعل .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ ﴾ : أي رجعوا إلى نور العلم ، ﴿ فَإِذَا

---

[1]) رواه النسائي في سننه ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، وابن حبان في صحيحه ، والدارمي ، والطيالسي في مسنده ، والبزار ، والضحاك في السنة ، وأبو نعيم في الحلية .

هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] : أي ينكشف لهم الإشكال فيعلموا حقيقـة هذا الخاطر وشـره .

وكمـا جاء في الحديث : " فقيـه واحد أشدّ على الشيطان مِنْ ألف عابـد "[١] .

فإنَّ العلم يدفع عن المؤمن الشبهة ، ويكبت الشهوة إلّا فيمـا أحلّ الله تعالى . فإذا عَلِمْنا أنَّ سلطان الشيطان إنمـا هو سلطان نزغ وإغواء ، لا سلطان حُجّة وبرهان ، وأنه قد يأتي للعبد مِنْ هذه الجهة على أنَّ ما يُمليه عليه حجّة وبرهان وعلم ، بل ويفتح له آفاق الدليل مِنَ الكتاب والسُّنة يلبسها عليه ، حتى لَيحسبها الحيران حقّاً وحجّة وبرهاناً ، وإنمـا هي كَيد ووسوسة ، فصار طلب العلم

---

١) رواه الترمـذي ، وابـن ماجـة ، والبيهقـي في الـشعب ، والطبراني ، وابـن عـدي في الكامـل وغـيرهم مِـنْ حـديث ابـن عباس ، ونحوه الدارقطني في سننه عن أبي هريرة .

والإخلاص فيه سبباً مِنْ أسباب دفع الوسواس ودَحْضه .

قال النووي : رَوَيْنا في رسالة الأستاذ أبي القاسم القشيري عن أحمد بن عطاء الروذباري قال : كان لي استقصاء في أمر الطهارة ، وضاق صدري ليلةً لكثرة ما صببتُ مِنَ الماء ولم يسكن قلبي ، فقلتُ : يا رب ، عفوك عفوك . فسمعتُ هاتفاً يقول : العفو في العلم ، فزال عني ذلك .

وقال الغزالي في الإحياء عند ذِكْر مكايد الشيطان : فإنه قد انتشر الآن تلبيسه في البلاد والعباد ، لا سيّما في المذاهب والاعتقادات ، حتى لم يبقَ مِنَ الخيرات إلّا رَسْمها ، كلُّ ذلك إذعاناً لتلبيسات الشيطان ومكايده ، فحقٌّ على العبد أنْ يَقِفَ عند كل هَمٍّ يخطر له ؛ ليعلم أنه مِنْ لَمّة المَلَك أو مِنْ لَمّة الشيطان ، وأنْ يُمْعِنَ النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى الطبع ، ولا يطّلع عليه

إلّا بنور التقوى والبصيرة وغزارة العلم ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] . فأمّا مَنْ لم يُرَضِّ نفسه بالتقوى ، فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى ، فيكثر فيه غلطه ، ويتعجّل منه هلاكه وهو لا يشعر .

فإنْ أردتَ الخلاص مِنَ الشيطان فقَدِّمِ الاحتماء بالتّقوى ، ثم أَرْدِفْه بدواء الذِّكْر ، يَفِرّ الشيطان منك كما فَرَّ مِنْ عمر .

٦- تقوية الإيمان .

وذلك بكثرة النوافل والطاعات والقربات ، فإذا فَعَلَ ذلك قَوِيَ إيمانه ، وأصبح عنده سدٌّ عنيف يَحجب الشيطانَ الرجيم مِنَ الوصول إلى القلب .

٧- كثرة قراءة القرآن مع التدبّر وفَهْم معانيه .

٨- صحبة الأخيار ولزوم جماعة المسلمين .

فإنَّ في صحبتهم عَوْناً ورَشاداً ، ونُصْحاً وتَوْجيهاً ، وتَبْصيراً وتثبيتاً .

رُوِيَ عن النبي ﷺ قال : " فمَنْ أراد منكم أنْ ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإنَّ الشيطان مع الواحد ، وهو مِنَ الاثنين أبعد "[١] .

٩- أنْ يتحلّى المرء بالثقة بالله ، وقوة القلب والعزيمة ، ويؤمن بضعف الشيطان وكَيْده .

قال أحمد بن أبي الحواري : شكوتُ إلى أبي سليمان الوسواس فقال : إذا أردتَ أنْ ينقطع عنك فأيَّ وقت أَحْسَسْتَ به فافرح ، فإنك إذا فرحتَ به انقطع عنك ؛ لأنه لا شيء أبغض إلى الشيطان مِنْ سرور المؤمن . وإذا

---

١) طرف مِنْ حديث رواه النسائي عن عمر بن الخطاب ، وأحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي في سننه ، والطيالسي في مسنده ، وأبو يعلى ، والطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الحلية ... وغيرهم .

اغتممتَ به زادك .

قال النووي في الأذكار : وهذا مِمّا يؤيِّد ما قاله بعض الأئمة أنَّ الوسواس إنما يُبتلى به مَنْ كَمُلَ إيمانه ، فإنَّ اللص لا يقصد بيتاً خَرِباً .

وقال أحد الحكماء : مَنْ أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفّظ أَيس عدوه مِنْ كَيْده له ، وقطع عنه أطماع الماكرين به .

١٠- أنْ يطلب العون مِنَ الله تعالى ، ويحسن التوكّل عليه ، ويوقن أنه لا يمنعه مِنَ الشيطان ويقيه إلّا الله .

ومَنِ اسْتَعان بالله على أحدٍ مِنْ خَلْقه كفاه شرَّه ، وعَصَمَه ووقاه منه ، ويَسَّرَ أَمْره ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾ [الطلاق: ٣] .

١١- الاستعاذة بالله تعالى مِنَ الشيطان الرجيم ومِنْ جميع الشرور ، مع الاعتقاد الجازم بمعانيها .

فمَنِ استعاذ بالله اعتصم به ولجأ إليه ، فأيّ كَيْدٍ يَصِلُه وهو يعتقد اعتقاداً جازماً أنه معتصمٌ بالله الذي هو ربّ كل شيء ومليكه ؟ والله ﷻ يقول : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [الأعراف] .

ففي هذه الآية يُرْشِدُ ﷻ إلى الاستعاذة به مِنْ شيطان الجانّ ، فإنه لا يكفه عنك الإحسان ، إنما يريد هلاكك ودمارك بالكلية ، فإنه عدو مبين لك ولأبيك مِنْ قبلك .

واعلم أخي المسلم أنَّ الاستعاذة هو الاحتراز مِنْ شر الوسوسة ، ومعلومٌ أنَّ الوسوسة حروفٌ خفيّة في قلب الإنسان ولا يطّلع عليها أحد ، فكأنَّ العبد يقول: يا مَنْ هو على هذه الصفة التي يَسْمَعُ بها كلَّ مسموع ، ويَعلم كلَّ سِرٍّ خفيّ ، أنت تَسمع وسوسة الشيطان وتَعلم غَرَضَه فيها ، وأنت القادر على دَفْعِها عني ، فادْفَعْها عني بفضلك .

وقال ابن السعدي : الاستعاذة فيها الاستعانـة بالله على دَفْعـه .

وقد وَرَدَ أيضاً في القرآن الكريم الاستعاذة مِنْ هذا الوسواس بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ [الناس] .

فمِنْ حكمة القرآن وعناية الله بِخَلْقه أنْ أرشدنا إلى أَصْل الوسوسة ، وأَمَـرَنا بالاستعاذة مِنْ أصل الوسواس وليس الوسوسة ؛ لتكون دواء وشفاء لِـمـا يجـد الإنسان مِنْ ذلك .

وأخرج الديلمي عن معاذ مرفوعاً : " إنَّ إبليس له خرطوم كخرطوم الكلب واضِعُه على قلب ابن آدم ، يُذَكِّره الشهوات والمـلذّات ، ويأتيـه بالأماني ، ويأتيـه

بالوسوسة على قلبه ليشكّكه في ربه ، فإذا قال العبد : [أعوذ بالله السميع العليم مِنَ الشيطان الرجيم ، وأعوذ بالله أنْ يحضرون ، إنَّ الله هو السميع العليم] ، خنس الخرطوم عن القلب " .

وذَكَر بعض العلماء فيما يقوله ويفعله مَنِ ابتُلِيَ بالوَسواس ، وما يستعين به على الوسوسة ، قال : ولَمّا كان الشيطان على نوعين : نوع يُرى عياناً وهو شيطان الإنس ، ونوع لا يُرى وهو شيطان الجن ، أَمَرَ ﷻ نبيَّه أنْ يكتفي مِنْ شر الشيطان الإنس بالإعراض عنه ، والعفو والدَّفْع بالتي هي أحسن . ومِنْ شيطان الجن بالاستعاذة بالله منه والعفو . وجمع بين النوعين في سورة (الأعراف) ، وسورة (المؤمنون) ، وسورة (فصلت) . والاستعاذة في القراءة والذِّكْر أبلغ في دَفْع شر شياطين الجن ، والعفو والإعراض والدَّفْع بالإحسان أبلغ في

دَفْع شر شياطين الإنس .

وفي (قوت القلوب) للشيخ أبي طالب المكي قدس سره : ولْيَجْعَلِ العبدُ مفتـاد درسه أنْ يقول : [أعوذ بالله السميع العليم مِنَ الشيطان الرجيم ، ربّ أعوذ بك مِنْ همزات الشياطين ، وأعوذ بك ربّ أنْ يحضرون] . وليقرأ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ، وسورة الحمد ، وليقل عند فراغه مِنْ كل سورة : [صَدَقَ الله تعالى وبلّغ رسولُه ﷺ ، اللّهم انفعنا وبارِكْ لنـا فيـه ، الحمد لله رب العالمين ، وأَسْتَغْفِر الله الحيّ القيّوم] .

١٢- المـداومة على ذِكْـر الله تعالى والتدبّـر فيـه .

فإنّه أعظم ما يُنَجّي العبد ، حيث للذكر أثر عظيم في اطمئنـان القلب وطهارتـه ، وذهاب صدئـه وقسوتـه ووحشته مِنَ الشبهات المحرقة والشهوات المظلمة ، قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا

بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد] .

قال الإمام الغزالي : ولا يمحو وسوسة الشيطان مِنَ القلب إلّا ذِكْر ما سوى ما يوسوس له ؛ لأنه إذا خطر في القلب ذِكْر شيءٍ انعدم منه ما كان فيه مِنْ قبل ، ولكنْ كلّ شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلّق به فيجوز أنْ يكون مجالاً للشيطان ، وذِكْر الله هو الذي يُؤْمَن جانبه ، ويُعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ، ولا يُعالَج الشيءُ إلّا بضده ، وضِدُّ جميع وساس الشيطان ذِكْر الله بالاستعاذة والتبرّي عن الحول والقوة ، وهو معنى قولك : [أعوذ بالله مِنَ الشيطان الرجيم ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم] .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] . فالتطارد بين ذِكْر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام ، وبين الليل والنهار ، ولتضادهما قال الله تعالى : ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ

عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ ﴾ [المجادلة: ١٩] .

وإذا قاوم العبدُ الشيطانَ على وسواسه ، وجاهده على ذلك وصبر على بلائه ، كان مأجوراً على ذلك ولم يؤاخذه الله بما حصل منه ، وكان ذلك دليلاً على كمال إيمانه ونور بصيرته . والشيطان حريصٌ أشدّ الحرص على الهجوم على قلب المؤمن الحق والوسوسة فيه ؛ لإفساده وإذهاب نوره ، ولن يتمكّن مِنْ ذلك بإذن الله ما دام العبد مُتَحَصِّنٌ بذِكْر الله . أمّا الكافر والمنافق فالشيطان مُسْتَغْنٍ عن الوسوسة في قلبه ، ليس بحاجة إليه لأنَّ قلبه مُظْلِمٌ بالكفر . فقد جاء الصحابة لابن عباس وقالوا : إنَّ اليهود يُعَيِّرونا بقولهم : نخشع في صلاتنا ولا تخشعون في صلاتكم ، فقال ابن عباس : وماذا يفعل الشيطان بالبيت الخرب ؟

فمعركة القلب بين جندي الملائكة والشياطين دائمة

إلى أنْ ينفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويتمكّن ، فإذا خلا القلب عن قوت الشيطـان وهو الهوى والشهوات ، وعُمِّـرَ بذِكْر الله تعالى ، كان موطن إلهامات المـلائكة فلا تـأمره إلّا بخـير .

وقال: حقيقـة الذِّكْـر لا تتمكّن مِنَ القلب إلّا بعد عمـارة القلب بالتقوى ، وتَطْهيره مِنَ الصفات المذمومة ، وإلّا فيكون الذِّكْر حديثَ نفسٍ لا سلطان له على القلب، فلا يَدفع سلطانَ الشيطان ؛ ولذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] . فمَثَـل الشيطان كمَثَـل كلب جائع يقرب منك ، فإنْ لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه ينـزجر بأنْ تقول له : اخسـأ ، فمجـرّد الصوت يدفعـه . فإنْ كان بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم على اللحم ، ولا يندفع بمجـرّد الكلام ، فالقلب الخـالي

عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذِّكْـر . فأمّـا الشهوة فإذا غلبت على القلب دَفَعَتْ حقيقة الذِّكْر إلى حواشي القلب فلم يتمكّن مِنْ سُوَيْدائه ، فيستقرّ الشيطان في سُوَيداء القلب . وأمّـا قلوب المتّـقين الخالية مِنَ الهوى والصفات المذمومة ، فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوّها بالغفلة عن الذِّكْر ، فإذا عاد إلى الذِّكْر خنس الشـيطان . ودليـل ذلك قولـه تعـالى : ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل] ، وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذِّكْـر .

وفي الحديث أنَّ الله تعالى أَمَـرَ يحيـى عليه السلام أنْ يأمـر بني إسرائيل بخمس خصال ، منها قولـه : " وآمركم أنْ تذكروا الله تعالى ، فإنَّ مَثَـلَ ذلك مَثَـل رجلٍ خرج العدو في أثـره سراعاً ، حتى إذا أتى إلى حصنٍ حصين فأحرز نفسـه منهم . كذلك العبـد لا يحـرز نفسـه مِنْ عدوه

إلّا بالذِّكْـر "[١] .

وقال قيس بن الحجاج : قال لي شيطاني : دخلتُ فيك وأنا مِثْـل الجزور ، وأنا الآن مِثْـل العصفور . قلتُ : ولِـمَ ذاك ؟ قال : تذيـبني بذِكْـر الله تعالى .

فالذِّكْر هو الحصن الحصين ، والسد المنيع ، والحافظ المـلازم ، والسلاح الفتّـاك ضد الشياطين .

١٣- التوبـة والاستغفار .

فحال الإنسان دائمـاً التوبة والإنابة إلى الله سبحانه ، ولهم أسوة في أبيهم آدم : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف] .

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله ﷺ قال : " إنَّ الشيطان قال : وعزّتك يا رب ، لا أبرح أُغْوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب

---

١) أخرجه الحافظ المديني في كتاب الترغيب والترهيب .

ﷻ : وعِزّتي وجلالي وارتفاع مكاني ، لا أزال أَغفر لهم ما استغفروني "[١] .

١٤- أنْ يكثر مِنَ الدعاء واللّجوء إلى الله تعالى لا سيّما في مواطن الإجابة ، ويدعو دعوة المضطرين بخوفٍ وإنابة وحُسْن ظنٍّ بالله ، قال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢] .

وهذا مِنْ أقوى الأسباب في دَفْع الوَسواس ، فإنَّ الله تعالى هو الذي يقدّر البلاء ، وهو الذي يدفعه .

وقد ذُكِرَ مِنْ دعائه ﷺ في الموقف : [اللّهم لك الحمد كالذي نقول ، وخيراً مِمّا نقول . اللّهم لك صلاتي ونُسُكي ، ومحياي ومماتي ، وإليك مآبي ، ولك ربي تراثي . اللّهم إني أعوذ بك مِنْ عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ،

---

[١]) رواه أحمد في مسنده ، والحاكم في المستدرك ، وعبد بن حميد ، وأبو يعلى ، والطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الحلية .

وشتات الأمر . اللّهم إني أعوذ بك مِنْ شر ما تجيء به الريح] .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : " كان شيطان يأتي النبيَّ ﷺ بيده شعلة مِنْ نار ، فيقوم بين يديه وهو يصلّي ، فيقرأ ويتعوّذ فلا يذهب ، فأتاه جبرائيل فقال له : قُلْ : [أعوذ بكلمات الله التامّات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر، مِنْ شَرِّ ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل مِنَ السماء وما يعرج فيها ، ومِنْ فِتَنِ الليل والنهار، ومِنْ طوارق الليل والنهار إلّا طارقاً يطرق بخير يا رحمن] . فقال ذلك ، فطُفِئَتْ شُعْلته وخرّ على وجهه " [١] .

وقال الحسن : " نُبِّئْتُ أنَّ جبرائيل أتى النبيَّ ﷺ فقال : إنَّ عفريتاً مِنَ الجن يكيدك ، فإذا أَوَيْتَ إلى فراشك

---

١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة مِنْ حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن مسعود .

فاقرأ آيـة الكرسي "[١] .

وكان محمد بن واسع يقول كلَّ يومٍ بعد صلاة الصبح : [اللّهم إنك سَلَّطْتَ علينا عدواً بصيراً بعيوبنا ، يَرانا هو وقبيله مِنْ حيث لا نراهم . اللّهم فآيِسْه منّـا كمـا آيستَـه مِنْ رحمتك ، وقَنِّطْه منّـا كمـا قَـنَّطْتـَه مِنْ عفوك ، وباعِدْ بيننا وبينه كمـا باعدتَ بينه وبين رحمتك ، إنك على كل شيء قدير] . قال : فتمثّـل له إبليـس يوماً في طريق المسجد فقال له : يا ابن واسع ، هل تعرفني ؟ قال : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا إبليس ، فقال : وما تريد ؟ قال : أريد أنْ لا تُعَلِّمَ أحداً هذه الاستعاذة ولا أتعرّض لك . قال : واللهِ لا أمنعها مِـمَّنْ أراد فاصْنَعْ ما شئتَ .

١٥- وإنْ كان الوسواس في الأمور العقائدية فعلاجه ينصرف عن مجادلته إلى إجابته بمـا جاء في الأحاديث ،

---

[١] رواه مرسلاً أبو بكر الدينوري في (المجالسة وجواهر العلم) .

وخلاصتها أنْ يقول : آمنتُ بالله ورسوله ، ﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص] ، ثم يتفل عن يساره ويستعيذ مِنَ الشيطان الرجيم ، ثم ينتهي عن الانسياق مع الوسوسة .

ومَنْ فَعَلَ ذلك طاعةً لله ورسوله ، مخلصاً له في ذلك ، لا بد أنْ تذهب عنه الوسوسة ويندحر شيطانه ؛ لقوله ﷺ في الحديث : " فإنَّ ذلك يذهب عنه " .

ولْيُكْثِرْ أيضاً مِنَ النظر في كتاب الله ، ودلائل الإيمان ، وأسماء الله وصفاته وأفعاله الجليلة ، ويتفكّر في آيات الله الكونية ، وقراءة الأحاديث النبوية ، وسماع كلام أهل الحق والحكمة ومجالس العلم .

قال الغزالي : والنبي ﷺ لم يأمر بالبحث في علاج هذه الوساوس ، فإنَّ هذا الوسواس يجده عوام الناس دون

العلمـاء ، وإنمـا حقّ العوام أنْ يؤمنوا ويُسَـلِّموا ، ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ، ويتركوا العلم للعلمـاء .

وروى أبو داود في سننه عن أبي رميل قال : قلتُ لابن عباس : ما شيءٌ أَجِدُه في صدري ؟ قال : ما هو ؟ قلتُ : واللهِ لا أتكلّم ، فقال لي : أَشيءٌ مِنْ شَكٍّ ؟ وضحك وقال : ما نجا منه مِنْ أحدٍ حتى أنزل الله تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤] . فقال لي : إذا وَجَدْتَ في نفسك شيئاً فقُـلْ : [هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم] .

وقال بعضهم : لطرد الوسوسة في الأمور العقائـديـة فلا بد مِن اتّبـاع الوسائل التالية اقتداءً بهدي رسول الله ﷺ : أنْ يُـقَدِّمَ اليقين على الشك ، وهذا لا يكون إلّا لِـمَنْ صَحَّتْ عقيدته ، وأَخْلَصَ لله توجّهه ، وتمسّك بحبل الله

المتين والعروة الوثقى ، وابتعد عن المعاصي ، وحافظ على كلِّ ما يقرّب إلى الله ﷻ . والاستعاذة بالله مِنَ الشيطان الرجيم ، ولينـته عن التفكير في تلك الأمور ، وأنْ يقول : آمنتُ بالله ورسله . ولطرد وسوسة الشيطان في الصلاة : أنْ يُقدّم اليقين على الشك ، والاستعاذة ، والتـفل عن اليسار ثلاثـاً ، فإنْ عاد للوسوسة فيُعيـد فِعْـلَ ذلك ، وإنْ لبس عليه يَسجد سجود السهو .

وقال النووي في المجموع: وإذا بُلِـيَ بالوسوسة فليستعذ بالله مِنَ الشيطان، ولْيَنْـتَهِ عن الاستمرار فيها ، وإنْ كان توسوسه في الإحرام بالصلاة تعوّذ بالله منه ، وتفـل عن يساره ثلاثاً ، ويقول : [لا إله إلّا الله] ويكرّرها .

وقال الحارث بن قيس : إذا أتاك الشيطان وأنت تُصلّي فقال : إنك تُرائي ، فزِدْها طولاً .

فهذه بعض الأسباب التي تُعينك أخي المسلم على دَفْعِ هذه الوساوس .

والحاصل أنَّ الخلاص مِنَ الشيطان إنما هو بِعَوْن الرحمن ، والاعتصام بظواهر الشريعة ، وعدم الالتفات إلى الخطرات والوساوس الذميمة .

نسأل الله العظيم أنْ يعيذنا مِنْ همزات الشياطين ، ونزغاتهم ووساوسهم .

ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

الخَاتِمَة

رَزَقَنـي الله والمسلمين حُسْن الخاتمـة ..

فرسالتي هذه بيّنت للسائلين عن المرض وعلاجه ، نسأل الله أنْ يُلْهِمَ كلَّ مَنْ أراد الحقيقة أنْ يقف معها وقفة صِدْقٍ ويقول لنفسه : أين أنا مِنْ هذا ؟ فإنْ كان سليمـاً مِنْ ذلك حـمد الله تعالى ، وإنْ وَجَدَ في نفسه مرضاً مِـمّـا ذَكَـرْنا فليطبّـق العلاج على نفسه ، والله تبارك وتعالى الناصر والمـعين .

وصلّى الله وسَلَّمَ على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه أجمـعين .

﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠] .

٢٨ / صفر / ١٤٣٣هـ

٢٢ / ١ / ٢٠١٢م

فهرس القرآن

طرف الآيـة والسورة	رقمها	الصفحة
سورة البقرة :		
ولا تتبعوا خطوات الشيطان	١٦٨	١١٧
الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء	٢٦٨	٧٠
وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله	٢٨٤	١٠/ ١٢/ ١٣
ءامن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون	٢٨٥	١٠
لا يكلف الله نفساً إلا وسعها	٢٨٦	١٠/ ١١/ ٣٣
ربنا ولا تحمل علينا إصراً	٢٨٦	١٠/ ٣٤
سورة النساء :		
إن كيد الشيطان كان ضعيفاً	٧٦	٥٠/ ١١٤
سورة الأنعام :		
شياطين الإنس والجن	١١٢	٢٦
وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه	١٥٣	١٣٠/ ١٣١
سورة الأعراف :		
فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم	١٦	١٣/ ١٦
		١١٢/ ١٢٩

ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم	١٧	١٣/ ١٤/ ١١٢/ ١١٧/ ١٢٩
وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين	٢٣	١٤٥
لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة	٢٧	١٣٠
وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله	٢٠٠	١٨/ ٢٠/ ٥١/ ٥٣/ ١٣٧
إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا	٢٠١	١٨/ ١٣١/ ١٣٤/ ١٤١/ ١٤٣
سورة يونس :		
وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين	١٠	١٥٣
فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك	٩٤	١٥٠
سورة الرعد :		
ألا بذكر الله تطمئن القلوب	٢٨	١٤١
سورة الحجر :		
إن عبادى ليس لك عليهم سلطان	٤٢	٤/ ١١١
سورة النحل :		
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم	٩٨	١٤٤
إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا	٩٩	١١٤
سورة الإسراء :		
إن عبادى ليس لك عليهم سلطان	٦٥	٤/ ١١١

سورة طه :

فوسوس إليه الشيطان	١٢٠	٨٥/ ٨٧

سورة الحج :

ومن يرد فيه بإلحاد بظلم	٢٥	٤٠

سورة الأنبياء :

يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم	٦٩	١٠٧

سورة المؤمنون :

وقل رب أعوذ بك من هزات الشياطين	٩٧	١٨

سورة النور :

إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا	١٩	٤٠

سورة النمل :

أمن يجيب المضطر إذا دعاه	٦٢	١٤٦

سورة فاطر :

إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً	٦	١٢٩

سورة الحجرات :

يا أيها الذين ؤامنوا إن جاؤكم فاسق بنبأ فتبينوا	٦	٣٨

سورة ق :

ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه	١٦	٢١/ ٨٧

سورة المجادلة :

استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله	١٩	١٤٢

سورة الطلاق :

ومن يتوكل على الله فهو حسبه	٣	١٣٦

سورة الجن :

وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن	٦	٢٧

سورة الإخلاص :	١-٤	٤٨/ ١٤٩
سورة الناس :	١-٦	٢٢/ ٨٧/ ١٣٨
من شر الوسواس الخناس	٤	١٩/ ٢٣
الذى يوسوس فى صدور الناس	٥	٢٣/ ٢٦
		٢٨/ ٨٦
من الجنة والناس	٦	٢٦/ ٢٨

فهرس الحديث

طرف الحديث	الصفحة
الإثم ما حاك في الصدر	٣٣
إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى	٦٢
إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي	١٢٨

إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط ٦١

إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوا عليه ٣٥

الشياطين يحومون على قلوب بني آدم ١٠٥

الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس ٧٧/ ٨٦

أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ١٤٧

إن إبليس له خرطوم كخرطوم الكلب ١٣٨

إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ٦/ ١١/ ٢٩

إن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ١٣٥

إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضي هذه ٨٣

إن الشيطان قعد لابن آدم في طرقه ١٥/ ١١٢/ ١١٦

إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ٢٤/ ٤١/ ٤٢

١٠٥/ ١١٢

إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ٧٠

إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان ٧٥/ ٩٤

الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة ٩/ ٥٦/ ٦٠

خط لنا رسول الله خطاً ثم قال هذا سبيل الله ١٣٠

ذاك شيطان يقال له خنزب ٦٦/ ٩٨

ذلك صريح الإيمان / محض الإيمان ٥٥/ ٥٦/ ٥٧

رفع القلم عن ثلاثة ٩٦

فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ١٤٧

فإذا بلغه ذلك فليستعذ بالله ولينته ١٩/ ٤٧/ ٩٣
فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ١٣٢
فليقل آمنت بالله ورسله ٤٧/ ٤٨
لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ١٤٥
لا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً ٤٤/ ٤٧/ ٩٨
ما من عبد إلا وله أربعة أعين ٨٠
ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ٦٨/ ١١٠
من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء ٨٣
يجزئ من الوضوء مد والغسل صاع ٩٥

فهرس الموضوعات

المقدمة ٣
تعريف الوسوسة لغة وعرفاً ٨
القرآن والسنة أصل فيما يتعلق بالوسواس وحكمه ١٠
محل الوسوسة الصدر ٨٥
مصادر الوسواس ثلاثة ٨٦

أسباب الوسوسة	٩٠
أنواع الوسوسة	٩٣
كيفية الوسوسة	١٠٤
الشيطان يوسوس في قلوب بني آدم	١٠٤
حقيقة سلطان الشيطان	١١٤
من حبائل إبليس	١١٥
علاج الوسواس ودواؤه	١٢٢
الخاتمة	١٥٣
فهرس القرآن	١٥٤
فهرس الحديث	١٥٧
فهرس الموضوعات	١٥٩

تم بحمد الله